التوحيد

اسلامية ـ ثقافية ـ شهرية
تصدر عن جماعة انصار السنة المحمدية

نتيجة مسابقة مجلة التوحيد لعام ١٤١٧ هـ

نفحات من الهجرة

قضايا معاصرة

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

المسلمون والنظام العالمى الجديد

القدس والأقصى بيد اللّٰه عز وجل !!

السنة - العشرون - العدد الثانى - صفر ١٤١٨ هـ - الثمن ٧٥ قرشاً

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

صاحبة الامتياز جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

التحرير

٨ شارع قوله
عابدين القاهرة
ت ٣٩٣٦٥١٧
فاكس ٣٩٣٠٦٦٢

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام (البيت المسلم) ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير ٦
التفسير : الشيخ عبد العظيم بدوي (قانون الأخلاق) ١٠
باب السنة : الرئيس العام (الشك في الحدث) ١٤
موضوع العدد : د . محمد بن سعد الشويعر
(نفحات من الهجرة) ٢٠
تحقيقات التوحيد : جمال سعد حاتم
(القدس والأقصى بيد الله) ٢٦
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٣٠
الفتاوى ٣٤
باب السيرة : الشيخ عبد الرازق السيد عيد
(دعوة إبراهيم عليه السلام) ٤٤
باب الاقتصاد الإسلامي : أ . د علي السالوس
(حكم ودائع البنوك) ٤٦
من روائع الماضي : الشيخ محمد حامد الفقي
(تفسير القرآن العظيم) ٥١
المسابقة ٥٦
(الفهامة والحسرة والندامة) أ . / مصطفى درويش ٥٧
من أخبار الجماعة ٥٩
(المسلمون والنظام العالمي الجديد) د . جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى ٦٠

التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض.
التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة .

رئيس التحرير سكرتير التحرير المشرف الفني
صفوت الشوادفي ● جمال سعد حاتم ● حسين عطا القراط

اقرأ في العدد القادم
(إن شاء الله):

التوحيد

١- لقاء التوحيد مع رئيس ومفتي الشيشان في مكة المكرمة.

جمال سعد حاتم

٢- رؤية النبي ﷺ.

الرئيس العام

٣- مناظرة في رفع اليدين في تكبيرات الجنازة.

الشيخ / وحيد عبد السلام بالي

مع القراء

رأى عمر بن العزيز أحد أبنائه يوم العيد، وعليه قميص ممزق فبكى! وقال له ابنه: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: يا بنيّ أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذا رأيت الصبيان في أحسن الثياب، وأنت بهذا القميص.

فقال الولد: يا أمير المؤمنين! إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عقّ أمه وأباه!! وإني لأرجو أن يكون الله راضيًا عني برضاك.

فبكى عمر، وضمّه إليه، وقبله بين عينيه، ودعا له بالخير والبركة، فكان أغنى الناس بعد أبيه..

أيها القارئ الكريم: هل رئيت ولدًا كهذا الولد ؟؟!

رئيس التحرير

شتراك السنوي
- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم مجلة التوحيد على مكتب عابدين) .
- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلهما .
ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي المصري فرع القاهرة
سم مجلة التوحيد أنصار السنة المحمدية (حساب رقم ١٩١٥٩٠)

ثمن النسخة
السعودية ٦ ريالات - الإمارات ٦ دراهم - الكويت ٥٠٠ فلس -
المغرب دولار أمريكي - الأردن ٥٠٠ فلس - السودان ١,٥٠ جنيه
مصري - العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشًا -
عمان نصف ريال عماني .

البيت المسلم

الحمد للَّه رب العالمين ، الذي ربَّى الخلق جميعًا بنعمة منه وكرمه وفضله خلقًا وأمرًا : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، فلقد خلق اللَّه الخلق فأبدعه ، وأنزل الأمر كله فأكمله وأتمه ورضيه : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، فكان ذلك النظام الرباني هو الذي تصلح به الحياة، وهو الذي تحل به المشكلات .

أذكر أنني قرأت في عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م ، وكنت بمدينة طنطا في جريدة مصرية تقريرًا عن نقابة المهندسين جاء فيه : إن حل مشكلة الإسكان في مصر يكون بالرجوع إلى النظام الإسلامي في بناء المساكن ذات الطابقين ، فعجبت لذلك كثيرًا، وعندما تدبرت ذلك وجدت :

١- أن الإسكان المرتفع بصورته الحالية يكشف العورات ولا يستر أهله، وأنه كذلك أدى إلى صعوبات بالغة في توصيل الخدمات والنجدة في الأزمات من حريق أو غيره، فضلاً عن ضيق الطرقات بازدحام المواصلات وتعقيد الأوامر والإشارات ، وصعوبة الحفاظ على الأمن ، وذلك كله مناقض لمقاصد الشرع من الحفاظ على النفس والنسل والمال والدِّين والعِرْض والعقل .

٢- أن الإسكان المرتفع أدى إلى التكدس البالغ في رقعة بعينها، فتغالى الناس في الأثمان، وتكلفوا طلبًا لمؤنة البنيان ، وكانت الندامة والخسران عند حدوث زلزال أو حريق أو غيره ، فضلاً عن كثرة الاحتكاك المفضي إلى تبلد

الحس ، بما عند الجار بالنسبة لجاره ، خاصة وأن الأسباب التربوية ضعيفة إن لم تكن منعدمة، بل تربية معكوسة تغرس الرذيلة وتحقر الفضيلة وتحض على الجريمة وتنفي الاستقامة .

٣- أن الإسكان من طابقين يؤدي إلى انتشار المدن السكنية في الأرض الصحراوية الممتدة التي تمثل ٩٦٫٥ ٪ من مساحة مصر ، فيؤدي ذلك إلى نشر السكان في مساحة كبيرة بما يسهل تعمير أرضها بالزراعة والاستفادة من خاماتها ونشر الخدمات وتيسير الصناعات ، خاصة وأن الأشجار التي يمكن أن تجود في الصحراء مثل (النخيل والزيتون)، هي من أجود الأشجار اقتصاديًا .

٣- وأن الإسكان من الطابقين لا يحتاج إلى تكلف في الخامات ولا مزيد من وسائل التأمين، هذا فإذا رجعنا إلى البيت الإسلامي وجدنا أن شكله ينبع من عقيدته ، ويلتزم بالشرع في نصوصه ، ويستفيد من الكون في آلائه، فهو بيت التربية ، فله صحن فسيح في وسطه يدخله الهواء والشمس، ويمكن زراعة بعض النباتات والأشجار به التي تحقق بعض الأغراض المنزلية، وأن نوافذه الرئيسية الكبيرة إلى داخله ، وأنه بيت يتميز بالمرونة التي تسهل إضافة وحدات له ، أو عزل أجزاء أخرى ؛ لتكوين وحدات للأسر الجديدة التي تتكون فيه ، وليس بنظام الشقوق التي نسكنها اليوم ؛ لأن الشقوق سكنى الهوام ، والبيوت سكنى الإنسان ، وهذا البيت في النظام الإسلامي يتميز بوجود باب خارجي يجاوره موقع الضيف الذي لا يجرح بيتًا ، ولا يشعر بحرج إن مكث أيامًا، وحاجاته الأساسية قريبة منه، فإن جاء الضيف لرجل مسلم ولم يجده وجد آخر ؛ لأن البيت فيه رجال متعددون .

في هذا البيت يسكن الجد بأبنائه وأحفاده، فكلما نضج واحد من أولاده وأراد الزواج أمكن له أن يحجز له مكانًا فيه المخدع، وغالبًا ما يتصل بالطابق العلوي بحيث يتيسر حفظ العورات، مع الاتصال بسائر أفراد البيت بغير ضيق ولا تكلف.

أما الطفل فإنه يجد المكان الفسيح الذي يستمتع به، ويجد الرعاية من أمه وأبيه وجده وجدته وأعمامه وزوجات الأعمام، فلا ينقل ألفاظًا سيئة من شوارع يسعى فيها، ولا يخاف عليه من مخوفات يخرج إليها خارج البيت، فيكون الولد في البيت مستمتعًا بالراحة وعلى الأيدي الحانية تربى، وبين الأحضان الدافئة يتنقل، يربيه الجد الذي أقعده السن عن العمل، وصار ذا خبرة واسعة في الدنيا، فيكون عمر خبرة المربين كبيرة.

البيت المسلم بيت يحمي الفضيلة وينفي الرذيلة، فإن وجد بهذا البيت أحد أفراده من النساء أو الرجال في طبعه الرذيلة لم يستطع ممارستها؛ لأن البيت عامر لا يخلو من سكانه ورواده، فلا يعين إلا على الاستقامة، فالانحراف بعيد المنال، والتفكير فيه لا يخطر على البال.

في هذا البيت يجد الطفل أقرانًا من أعمامه أو أبناء عمومته، فيجد من أقرانه من يؤنسه فينمو اجتماعيًا لا أنانيًا، لا يحتاج الأب أن يتكلف محاكاة الطفولة أو الانشغال بملاعبته وتسليته؛ لأن البيت لا يخلو من الأقران في سن الطفولة.

أما البيت الحديث فقد خلا من الجد والجدة، واجتهد الأب فيه لكسب القوت، وطلب المعاش، فلما عجز، بل قبل أن يعجز خرجت الأم إلى معترك الحياة، فخلا عليه البيت، فإما أن يعيش بين الجدران حبيس الوحدة والوحشة، أو يخرج مبكرًا في صيف أو شتاء في حر أو قر؛ ليأوي إلى حضانة التربية فيها على غير يد الأم، والتغذية فيها بغير اللبن الفطري، فإذا عاد الوالدان فهما متعبان منهكان لا

طاقة عندهما بسماع شكوى لطفل أو إيناسه ومداعبته، فكيف يتربى كما يريدان ؟!

فتدبر أخا الإسلام، رعاك الله تعالى، كيف أن لجنة فنية هندسية قررت أن نظام الإسلام في بناء المساكن هو المواكب للعصر !

فالعقيدة الإسلامية والعبادة والشريعة تستلزم نظام بيت يحقق النظام الإسلامي، ويعين عليه، ويتحقق به حسن التربية وجمال التنسيق ويسر التعامل وقلة الإنفاق والألفة والمحبة، فيسعد أفراده في الدنيا والآخرة، ويحيون في أمان، وتأمن بهم أرضهم وبلادهم، ويرهبهم عدوهم، ويحمون ثغورهم، فالعقيدة والعبادة تصوغ الحياة كلها.

فاللهم ألهمنا الرشاد والسداد والصواب. آمين.

وكتبه / محمد صفوت نور الدين

الصدق في البيع والبيان

عن حكيم بن حزام، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » . أو قال: « حتى يتفرقا، فإن صدقا وبينا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما ».

[أخرجه البخاري]

كلمة التحرير

يكتبها

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

قضايا معاصرة

الاستنساخ تهجين يؤدي إلى تحسين السلالة. أما الخلق فيستحيل على البشرية مجتمعة أو منفردة أن تقدر عليه ؛ لأنه شيء قد اختص اللَّه سبحانه نفسه به.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فإن وسائل الإعلام تتميز بقدرتها على التأثير على عقول الجماهير ؛ بل واحتلالها في كثير من الأحيان.

ومن المعلوم – عند أهل الذكر – أن وسائل الإعلام هي التي توجه الرأي العام ، وتقوده إلى حيث تريد لا إلى حيث يريد ! وقد سوّدت هذه الوسائل في الفترة الأخيرة صفحات كثيرة في قضايا مثيرة كثر الجدل حول بعضها ، ووضح الحق في بقيتها.

وقارئ التوحيد يرى في مجلته كلمة حق حول هذه القضايا ينشرح لها الصدر – بإذن الله – وتطمئن لها النفس.

وسوف نختار منها أهمها مما تمس الحاجة إليه ، وتلح في الوقوف عليه.

● الاستنساخ :

نجح العلماء في بريطانيا في عام ١٩٩٦ م في استنساخ نعجة !! والاستنساخ أشبه ما يكون بالتهجين الذي يؤدي إلى تحسين السلالة ؛ وقد قامت الدنيا ولم تقعد إلى الآن بسبب هذه القضية التي تقوم في أصلها على خطوات عادية على النحو الآتي :

١– تم الحصول على بُويضة من الشاة الأم ، واستخرجت منها النواة.

٢– تم الحصول على خلية عادية من شاة أخرى ، واستخرجت منها النواة.

٣– وُضعت نواة الخلية العادية في البويضة.

٤- وُضعت البويضة في نفس رحم الشاة الأم التي أخذت منها ، ثم تكاثرت إلى أن أنجبت الأم شاة .

وهذا يعطي دلالة قاطعة على أن المسألة تهجين وليست خلقًا ؛ إذ تم استعمال الرحم ليكون مستقرًا ومستودعًا للخلق والتكوين كما أراده الله ، وأخذت خلية من شاة أخرى تحمل صفة وراثية مرغوب فيها !

أما الخلق فيستحيل على البشرية مجتمعة أو منفردة أن تقدر عليه ؛ لأنه شيء قد اختص الله سبحانه نفسه به ؛ قال تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ الآية [الحج : ٧٣] .

بقي أن يُقال : إن العلماء قد قرروا أن الخوض في هذه التجارب ليس مأمون العواقب ؛ حيث إن استخراج النواة الأصلية من البويضة ، واستبدالها بنواة أخرى من خلية حيوان آخر قد يعرض البويضة والخلية لتغيرات تؤدي إلى عاهات وتشوهات في الجنين بسبب استعمال الأشعة والكهرباء لإجراء هذه العملية .

وأخيرًا ؛ فإن الإعجاز الإلهي قد جعل الجسم وحدة متكاملة تتساند وتتفاعل وتتعاون في أداء دورها ؛ فالذكاء الشديد في بعض البشر مثلاً مرتبط بصفات أخرى في نفس الإنسان ، فإذا نزعت هذه الصفة وحدها ، وزرعتها في نفس آخر ، فإن هذه العملية لو نجحت ستنتج خللاً جديدًا في البشر ، كمجرم مجنون أو أبْلَه ، وقد تنتج أمراضًا عضوية خطيرة يشقى بها البشر فيما بقي من عمر الدنيا !!

كما أن السعي في هذا الاتجاه الخطير نجاحه فشل ، وفشله نجاح ؛ لأن الأرض تفسد لو أصبح جميع سكانها كلهم أذكياء ؟! أو كلهم أشرار ؟! ولهذا كانت الحكمة الإلهية المذكورة في قول الله عز وجل : ﴿ نحنُ قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدُّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهُمُ بعضًا سُخريًا ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

● صوفية القرن العشرين :

نشرت جريدة « اللواء الإسلامي » بتاريخ ١ محرم ١٤١٨ هـ ، الموافق ١٩٩٧/٥/٨ م لقاء مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد ، الشيخ / حسن الشناوي ، وقد أجاب الشيخ عن أسئلة الجريدة إجابات فيها الخطأ والصواب ، وقد نُشر على لسانه أنه يرغب في الجلوس مع أنصار السنة للتفاهم بالحسنى ، وفض الاشتباك ، ونعمل على الاجتماع على كلمة حق ، بهدف الحفاظ على وحدة المسلمين على حد تعبيره .

ونحن نوجه حديثنا مباشرة إلى شيخ الطرق الصوفية ؛ فنقول : أيها الشيخ : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

جزاك الله خيرًا على قولك : التوسل بالميت لا يجوز ، وإن النذر لا يكون إلاَّ لله سبحانه وتعالى ، والقسم أو الحلف لا يكون إلاَّ لله سبحانه وتعالى ،

نقول لشيخ الطرق الصوفية : جزاك الله خيرًا عما أعلنته بأن التوسل بالميت لا يجوز ، وأن النذر لا يكون إلا لله والقسم والحلف لا يكون إلا لله سبحانه . ولكن كنا نود أن تتحدث عن إلغاء الموالد واستبدالها بمجالس العلم في المساجد لدراسة سير الصالحين ؛ لأن الموالد كما تعلم أصلها بدعة وفروعها معصية !!

وقولك : إذا رأيت إنسانًا يمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، ولا يتمشى قوله مع الكتاب والسنة ، فاضرب به عرض الحائط ، فقد أصبت الحق ، وقلت الصدق .

ولكنك يا شيخ تحدثت عن إصلاح الموالد ، وكنا نود أن تتحدث عن إلغاء الموالد ، واستبدالها بمجالس العلم في المساجد لدراسة سيرة الصالحين ؛ لأن الموالد كما تعلم أصلها بدعة ، وفرعها معصية !! وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه .

وقلت يا شيخ الطرق : (إن الجماعة المتطرفين بدءوا في زعزعة الفكر الصوفي عند كثير من أتباعه عن طريق تشكيكهم في بعض أمور مثل زيارة الأولياء والنذر لهم ، وزيارة الأضرحة ، والصلاة في المساجد التي بها أضرحة) . فماذا تعني بالمتطرفين ؟!

مع أنك وافقتهم في أن النذر لا يكون إلاَّ للَّه ، فهل أنت واقع تحت تأثير المتطرفين كعوام الصوفية الذين تتحدث عنهم ؟!

أنا أظن - وبعض الظن إثم - أن الدافع الحقيقي الذي جعل الصوفية تعدّل مسارها ، وتتنازل عن بعض ما عندها ، هو ما صرح به الشيخ في اللقاء أن المريدين ليس عندهم علم فيسهل إبعادهم وإبعاد أسرهم عن التصوف .

أقول : الحقيقة أن الوعي الديني وانتشار العلم والتحذير من البدع هي الدوافع الحقيقة وراء انحسار التصوف مما دفع القائمين عليه إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ؛ وذلك بإعادة طرح الفكر الصوفي في ثوب جديد يلتقي مع السنة في بعض أجزاءه ؛ وهو ما يمكن أن نسميه " صوفية القرن العشرين " .

بقى أن نقول : إننا نرحب ترحيبًا حارًا بعقد لقاء مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية ؛ ونتصور اللقاء على النحو الآتي :

○ يتم الاتفاق بين الطرفين على المسائل العلمية التي سيدور الحوار حولها ؛ وذلك عن طريق لجنة مشتركة .

○ يختار كل طرف ثلاثة من علماء الأزهر ، ويختار العلماء الستة عالمًا مرجحًا ، فتكون لجنة التحكيم من سبعة .

○ يُقدم كل طرف أقواله مدعمة بالأدلة الشرعية .

○ تحكم اللجنة في كل مسألة حكمًا شرعيًا ، وتكتب تقريرًا علميًا قابلاً للنشر . واللَّه المستعان .

● النقاب :

الحرب على النقاب وإنكاره ليس مسألة فقهية ، ولكنها مسألة إيمانية ؟! فالتبرج لا ينكره أحد ، والإعلام لا يلاحقه ولا يطارده لا من قريب ولا من بعيد ! وهؤلاء الذين في قلوبهم مرض يتساءلون في كل يوم : لماذا تستر المرأة وجهها ؟ ولا يتساءل أحدهم أبدًا : لماذا تكشف المرأة رأسها ؟ حتى مفتي الجمهورية سقط في الفخ المنصوب ، وقال بأن النقاب غير شرعي ؟!

نرحب ترحيبًا حارًا بعقد لقاء مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ونتصور أن يتم الاتفاق بين الطرفين على المسائل العلمية التي سيدور الحوار حولها وذلك عن طريق لجنة مشتركة من علماء الأزهر ، وتحكم اللجنة في كل مسألة حكمًا شرعيًا .

وعلى صفحات « الأخبار » تقول د . سعاد صالح : (إن النقاب لم يرد ذكره في القرآن) ، وهو قول عجيب مريب من متخصصة !! و د . أحمد شلبي يتلوى ألما ويتحسر ويتساءل : كيف تدير المرأة العمل وهي منتقبة ؟

والجواب يا دكتور : إن عمل المرأة النسائي وهي منتقبة أهون بكثير من قيام الرجل بالعمل وهو أعور أو مكسور الرجل أو اليد !!

المهم أن النقاب ثابت بالسنة الصحيحة ، وواجب على الراجح من أقوال العلماء ، وهو شرعي يا فضيلة المفتي ، وكتب التفسير زاخرة بأقوال الأئمة في وجوب ستر الوجه ، وهو أشد وجوبًا في زمان الفتن ، وكثرة أعداد الذين في قلوبهم مرض ممن يزعجهم انتشار النقاب ، ويعجبهم تبرج النساء ، والله من ورائهم محيط .

● ميت يختار قبره :

في إحدى قرى كفر الزيات ، محافظة الغربية ، حمل عفريت من الجنّ نعش ميت ، وانتقل به من مكان إلى مكان ، إلى أن وضعه في أرض زراعية ، ومنع حملة النعش من تحريكه أو نقله إلى مكان آخر ، فسارع العوام والجهال إلى إعلان الولاية لهذا الميت الذي لا حول له ولا قوة ، وإذا أنصف الناس فإن الذي يستحق وصف الولاية بهذا الفهم الفاسد والاعتقاد الباطل هو العفريت الذي أتى بهذه الخارقة الشيطانية !

نقول للدكتور / أحمد شلبي : إن عمل المرأة النسائي وهي منتقبة أهون بكثير من قيام الرجل بالعمل وهو أعور أو مكسور الرجل أو اليد !! ونقول لفضيلة المفتي : إن النقاب ثابت بالسنة الصحيحة وواجب على الراجح من أقوال العلماء

وأنا أقول : يا حملة النعش !! ما الفرق بين نعشكم وعرش بلقيس الذي ذكره الله في القرآن الكريم : ﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ﴾ [النمل : ٣٩] .

يا حملة النعش : ألستم تؤمنون بقول الله عز وجل : ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ [لقمان : ٣٤] ؟ وإذا كان هذا الميت كغيره لا يعلم قبل موته بدقائق : أين يموت ، ولا أين يُدفن ، فكيف يختار قبره بعد موته ؟! وأخشى ما أخشاه أن يتزاحم الأموات بعد ذلك على اختيار قبورهم ، فتضطر مشيخة الطرق الصوفية إلى التدخل عن طريق الأقطاب الأربعة لتنظيم هذه المسألة !!

والأعجب منه أن الجهات المختصة قد وافقت على الدفن وبناء مسجد فوق الميت في الأرض الزراعية ، وبهذا يستطيع الأموات تحويل الرقعة الزراعية في مصر إلى أراضي بناء دون الوقوع تحت طائلة القانون ! وهذا امتياز لعائلات الأولياء فقط !!

وصدق ابن القيم رحمه الله إذ يقول : لا يُدفن خارج مقابر المسلمين إلا نبي ؛ لأن الأنبياء يُدفنون حيث يموتون ، أو مرتد ؛ لأنه لا يجوز دفنه في مقابر المسلمين .

والله بكل شيء عليم وصلى الله وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه

صفوت الشوادفي

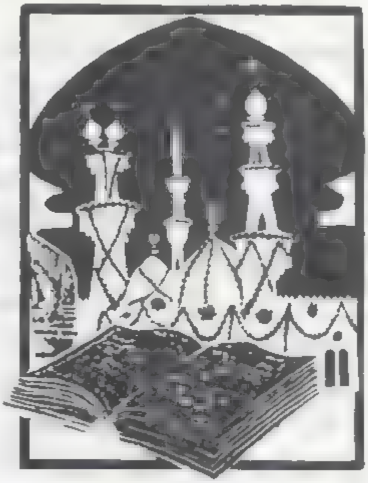

قانون الأخلاق

بقلم فضيلة الشيخ

عبد العظيم بدوي

﴿ خُذ العفو وأمُر بالعُرف وأعْرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩].

عن عبد اللَّه بن الزبير قال : ما أنزل اللَّه هذه الآية إلا في أخلاق الناس . [البخاري : ٤٦٤٣].

وقال جعفر الصادق : ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية . [القرطبي : ٣٤٥/٧].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي . قال علماؤنا : هذه الآية من ثلاث كلمات ، قد تضمنت أصول الشريعة المأمورات والمنهيات ، حتى لم يبق فيها حسنة إلا أوضحتها ، ولا سيئة إلا شرحتها ، ولا أكرومة إلا افتتحتها . ["أحكام القرآن ، ٢ ٨٢٦ .

وهذا يدل على منزلة الأخلاق في الدين ومكانتها الرفيعة فيه

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لذلك اهتم النبي صلى اللَّه عليه وسلم بالأخلاق اهتمامًا ، وبالغ في توكيدها وبيان منزلتها ، فقال : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " . [البخاري في " الأدب المفرد " (٢٧٣)]

وكان يقول : " إن مِن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا " . [الترمذي : ٢٠٨٧] . " ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق " . [أبو داود : ٤٧٧٨] . " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلقا " . [الترمذي : ١١٧٢] . " إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم " [أبو داود : ٤٧٧٧]

وهذه الآية جامعة لحسن الخُلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم . فهي تأمر النبي صلى اللَّه عليه وسلم ومن آمن معه أن يأخذ من الناس العفو ، وهو ما سمحت به نفوسهم وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق . فلا يكلفهم ما لا يملكون ، ولا يسألهم ما لا يجدون ، بل يقبل منهم القليل ويتجاوز عن الكثير ، وأن يعاملهم باللطف واللين ، والعطف على الكبير والصغير . حتى تنشرح له

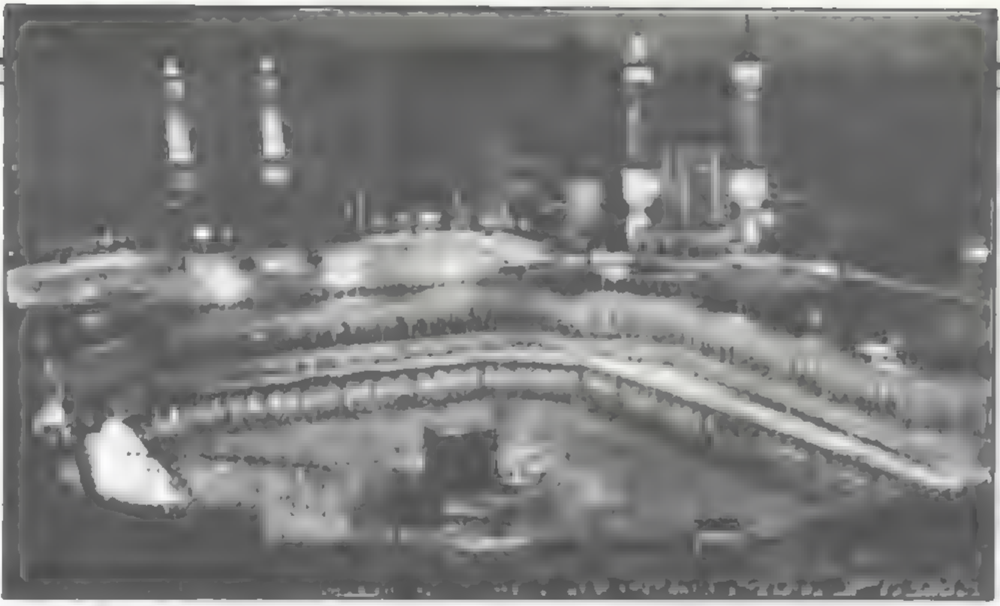

صدورهم ، وترتاح لـه نفوسـهم ، وتمتلأ بحبه قلوبهم .

هكذا كان صلى اللّه عليه وسلم ، فلقد كان يُنزل الناس منازلهم ، ويُقابل كل أحد بما يليق به ؛ فكان يرحم الصغير ويداعبه ، ويتواضع للكبير ويمازحه

وعن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : قبّل النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس . فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا ، فنظر إليه النبي صلى اللّه عليه وسلم وقال : " من لا يَرحم لا يُرحم " . [متفق عليه

وعن أنس ، رضي اللّه عنه . قال : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير – وهو فطيم – فكان إذا جاءنا قال : " يا أبا عُمَير ما فعل النُّغير " . تصغير النغر . وهو طائر صغير كالعصفور . كان الصبي يلعب به . أخرجه البخاري ٦٢٠٣

وعن أنس قال : كانت الأمة من إماء المدينة تأخذ بيد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت . [البخاري : ٦٠٧٢

وعنه : أن رجلا أتى النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللّه ، احملني ، قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : «فإنّا حاملوك على ولد ناقة؟» . قال : وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : " وهل تلد الإبل إلا النوق ؟ "

أبو داود : ٤٩٩٧، والترمذي : ١٩٩١

وكان صلى اللّه عليه وسلم يغض طرفه عن تقصيرهم وزلاتهم ، ويعفو عن سيئاتهم ؛ ولما أراد صلى اللّه عليه وسلم أن يفتح مكة سأل اللّه أن يعمي عنهم خبره ، حتى يدخلها فاتحا دون قتال ولا سفك دماء ، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بخبر النبي صلى اللّه عليه وسلم . فسبق الوحي إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فبعث من أحضر الكتاب . ثم قال : ما هذا يا حاطب ؟ فاعتذر إليه حاطب ، فقبل عذره ، وقال لأصحابه : " إنه قد صدقكم " . فقال عمر : دعني أضرب عنقه ، فقال صلى اللّه عليه وسلم : " إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل اللّه اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "

البخاري : ٤٨٩٠

وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسًا في القسمة ؛ فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عمران بن حصين مثل ذلك ، وأعطى ناسًا من أشراف العرب وآثرهم في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه قسمة ما عُدل فيها ، وما أريد بها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فأخبرته بما قال : فتغير وجهه ، حتى كان كالصِّرف ، ثم قال : " فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟! " . ثم قال : " يرحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر " . [البخاري : ٤٣٣٥] .

ويمثل هذه الأخلاق كسب النبي صلى الله عليه وسلم الناس واستمالهم إليه ، وحببهم فيه وفي دينه ، فآمنوا به وعزّروه ونصروه ، ولقد امتنّ الله عليه بذلك فقال : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وكان صلى الله عليه وسلم دائمًا يأمر أصحابه بمثل هذه الأخلاق ؛ فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء ، أو ذنوبًا من ماء ، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين " . [البخاري : ٣٢٣] .

وعن أنس ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفروا " . [البخاري : ١٦٣] .

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ﴾ ؛ وهو كل قول حسن ، وفعل جميل ، وخلق كامل ، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان يأمر إلا ببر الوالدين ، وصلة الرحم ، والإحسان للناس ، والإصلاح بينهم ، وما كان ينهى إلا عن كل قبيح من الأقوال والأفعال ، كان ينهى عن العقوق والقطيعة والإساءة إلى الناس . وكان ينهى عن قول الزور ، والكذب ، والسبّ والشتم ، والغيبة ، والنميمة . وكان يقول : " ليس المؤمن بطعان ولا لعان ، ولا فاحش ولا بذيء " . [الترمذي : ٢٠٤٢] ، وقد أجمل الله تعالى دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾ [النحل : ٩٠]

ولما كان الآمر الناهي لا بد أن يجهل عليه جهلة الناس ويؤذيه سفهاؤهم قال تعالى : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ ؛ فمن آذاك بقوله أو فعله فلا تؤذه ، ومن حرمك فلا تحرمه ، ومن قطعك فصله ، ومن ظلمك فاعدل معه . وهكذا كان صلى الله عليه وسلم .

عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : " لقد لقيت من قومك وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، وإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، عليه السلام ، فناداني فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك

الجبال فسلّم عليْ ، ثم قال : يا محمد إن اللّه قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني رحمة إليك لتامرني بأمرك ، فما شئتَ ؟ إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين ؟ » . فقال صلى اللّه عليه وسلم : « بل أرجو أن يُخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئًا » . [متفق عليه] .

وعن أنس قال : كنت أمشي مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى اللّه عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال اللّه الذي عندك ، فالتفت إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ثم ضحك ، ثم أمر له بعطاء . [البخاري : ٥٨٠٩] .

وبمثل هذه الأخلاق كان صلى اللّه عليه وسلم يأمر أصحابه ؛ فعن عقبة بن عامر قال : لقيني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي وقال : « يا عقبة ، صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك » . [أحمد : ١٩/١٨٤/٣٥ : الفتح الرباني] .

وعن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ؛ أن رجلاً قال : يا رسول اللّه ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني . وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ، وأحلم عليهم ويجهلون علي ، فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل - هو : الرماد الحار - ولا يزال معك من اللّه ظهير عليهم ما دمتَ على ذلك » . [مسلم : ٢٥٥٨] .

وقد استجابوا ، رضي اللّه عنهم ، للّه ورسوله ، وتخلقوا بمكارم الأخلاق طاعة للّه ورسوله . فها هو أبو بكر ، رضي اللّه عنه ، لما نزلت براءة عائشة ، رضي اللّه عنها ، من فوق سبع سموات قال : واللّه لا أعود أنفق على مسطح - وكان قريبًا له ، وكان أبو بكر ينفق عليه لقرابته وفقره ، فوقع في حديث الإفك - فقال أبو بكر ما قال ؛ فأنزل اللّه تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل اللّه وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم و اللّه غفور رحيم ﴾ [النور : ٢٢] ، فقال أبو بكر : بلى واللّه إني لأحب أن يغفر اللّه لي ، ثم ردّ على مسطح ما كان قطعه عنه . [البخاري : ٤٧٥٧] .

وعن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، قال : قدم عُيينة بن حصن ، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، رضي اللّه عنه ، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا ، فقال عيينة لابن أخيه : يابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، فاستأذن له فأذن له عمر ، رضي اللّه عنه ، فلما دخل قال : هيْ يابن الخطاب ! فواللّه ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر ، رضي اللّه عنه ، حتى همّ أن يوقع به ، فقال له الحرّ : يا أمير المؤمنين قال اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ، وإن هذا من الجاهلين ، واللّه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافًا عند كتاب اللّه تعالى . [البخاري : ٤٦٤٢] .

هكذا يجب أن نكون ، يجب أن نكون وقافين عند كتاب اللّه ، إذا أمر قلنا : سمعنا وأطعنا ، وإذا نهى قلنا : سمعنا وأطعنا : ﴿ ومن يطع اللّه ورسوله ويخش اللّه ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [النور : ٥٢] .

* * *

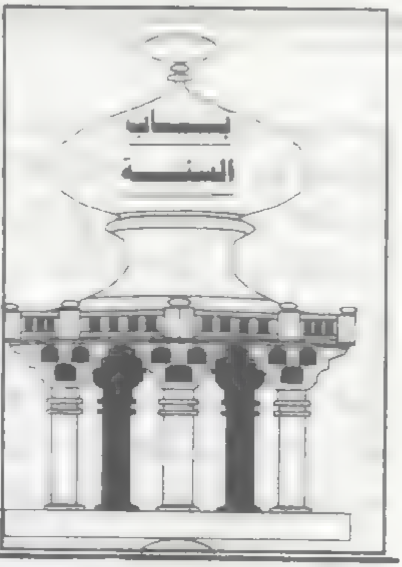

الشك

في الحدث

الرئيس العام محمد صفوت نور الدين

أخرج البخاري في "صحيحه" عن عباد بن تميم عن عمه عبد الله بن زيد بن عاصم المازني الأنصاري (١) أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يُخيَّل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال: "لا ينفتل - أو لا ينصرف - حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا".

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب (لا يتوضأ مِن الشك حتى يستيقن). وأخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الحيض باب (الدليل على أن مَن تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك).

والحديث أصل من أصول الإسلام وقاعدة جليلة من قواعد الفقه، ودليل على أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يُتيقن خلاف ذلك، وأنه لا أثر للشك الطارئ عليها، فمن حصل له ظن أو شك بأنه أحدث وهو على يقين من طهارته لم يضره ذلك حتى يحصل له اليقين.

والحديث دليل على أن الأصل بقاء ما كان على ما كان، والقاعدة الشرعية: (أن الشك لا يقوى على إزالة الأصل المعلوم، ولا يزول اليقين إلا بيقين أقوى منه أو مساو له).

وقبل أن نسترسل في الكلام حول فوائد الحديث نضع إيضاحًا لبعض المصطلحات اللازمة.

اليقين (وهو القطع): هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع غير ممكن الزوال، وهذا الحد ينفي الظن بقوله (الجازم)، وينفي الجهل بمطابقته للواقع، وينفي التقليد بكونه غير ممكن الزوال.

الظن: العلم دون اليقين، وهو التجويز الراجح. فإن غلب فهو بمنزلة اليقين في العمل به.

الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. فلا يميل القلب إلى أحدهما، فإن ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فالراجح هو الظن، والمرجوح هو الوهم.

والحديث دال على صحة صلاة المتوضئ إذا لم يتيقن الحدث ، وهو كذلك دال على بطلان من تيقن الحدث ولم يتيقن الطهارة ؛ لحديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تُقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ " ، وحديث ابن عمر عند مسلم مرفوعًا : " لا تقبل صلاة بغير طهور " . والحديث دال على بقاء حكم الأشياء على أصولها حتى يتيقن النقض مطلقًا .

وقد فرق بعض أهل العلم بين حال المصلي يشك في وجود الشيء منه وبين حال من لم يدخل في الصلاة ، فأوجب الوضوء على من شك وهو في غير الصلاة ، لكن في الحديث عند مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا ، فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا " ، فالتفريق لا يقتضي إيجاب الطهارة ، إنما التفريق يقتضي استحبابها لمن هو خارج الصلاة ، والنهي عن إفساد الصلاة والخروج منها إن كان داخلها لئلا يؤدي ذلك إلى أن يفسد الشيطان على المصلي عبادته ، فيبني على ما استيقن من أمره .

وقد نقل بعض أهل العلم عن مالك المخالفة في ذلك ، فأوجب الخروج للطهارة على من وقع له ذلك ، إلا أن ابن المنذر ، رحمه الله ، ذكر في كتابه " الأوسط " (ج١ ص٢٤٢) أن الإمام مالكًا ، رحمه الله ، قال في الذي يشك في الحدث : (إن كان ذلك يستنكحه كثيرًا فهو على طهارته ، وإن كان لا يستنكحه فليعد الوضوء) ، كأنه نظر لمن يكثر ذلك منه أنه من عبث الشيطان به فلا يستجيب له ، ومصداق ذلك ما أخرجه البزار عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يأتي أحدكم الشيطان في صلاته فينفخ في مقعدته ، فيخيل إليه أنه أحدث ولم يحدث ، فإذا وجد ذلك فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا " .

فالذي عليه دلالة الحديث وإجماع الأئمة ، أن الشك في الحدث مطروح ترغيمًا للشيطان وقطعًا لسبله على المصلين ، ولذلك فلقد أخرج الحاكم عن أبي سعيد ، رضي الله عنه ، مرفوعًا : إذا جاء الشيطان فقال : إنك أحدثت فليقل : كذبت .

وأخرج ابن حبان في " صحيحه " عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا جاء الشيطان فقال : إنك قد أحدثت فليقل في نفسه : كذبت حتى يسمع صوتًا بأذنه أو يجد ريحًا بأنفه " .

وقال عبد الله بن المبارك : إذا شك في الحدث فإنه لا يجب عليه الوضوء حتى يستيقن استيقانًا يقدر أن يحلف عليه ، وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال : إني لأجد البلل وأنا أصلي فأنصرف ؟ فقال سعيد : لو سال على فخذي ما انصرفت حتى أقضي صلاتي .

فانظر لما لمس ابن المسيب من الرجل كثرة وسوسة الشيطان وتلبيسه عليه عاجله بذلك القول ولم يقصد ابن المسيب ، رحمه الله ، أنه تيقن

الحدث ، فالشكوك غير مؤثرة في العبادة ولو كثرت ، وكذلك لا تؤثر الشكوك إذا وقعت بعد العبادة ، فلا يلتفت إليها إلا بيقين .

ففي حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صلى بالناس ركعتين ، ثم سلم - أي في صلاة رباعية - فقال ذو اليدين : يا رسول اللّه أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ قال : " لم أنس ، ولم تقصر " . فقال : " أكما يقول ذو اليدين ؟ " . فقالوا : نعم ، فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم .

فهذا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يقم للصلاة حتى تيقن الخطأ ، لأن الشك بعد العبادة غير مؤثر .

فحديث الباب دفع للوسواس والمبالغة في دفع الشك عن القلب ، وفي الحديث : " حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا " . قال الخطابي : معناه : حتى يتيقن الحدث لا أن سماع الصوت أو وجود الريح شرط ، فإنه قد يكون أصم لا يسمع الصوت ، ويكون أخشم لا يجد الريح ، وينتقض طهره إذا تيقن الحدث ، والحديث دليل على أن الريح الخارجة من أحد السبيلين يوجب الوضوء ، قال أصحاب الرأي : خروج الريح من القبل لا يوجب الوضوء .

والحديث دليل على أن اليقين لا يزول بالشك في شيء من أمر الشرع ، وهو قول عامة أهل العلم ، فمن تيقن الطهارة وشك في الحدث جاز له أن يصلي ، ولو تيقن الحدث وشك في الطهارة لم يجز له أن يصلي حتى يتوضأ ، ولو شك في نكاح المرأة لم تحل له . ولو تيقن النكاح وشك في الطلاق كان على النكاح . [راجع " شرح السنة " (ج١ ص٣٥٣-٣٥٥)] .

والحديث علاج للموسوسين وعون لهم على الشياطين ، حيث إن الوساوس تستبد بأصحابها فتوصلهم إلى الخروج عن حد السعة ؛ بل عن حدود الشرع ؛ بل العقل ، يقول ابن القيم في " إغاثة اللهفان " : إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أو اغتسل كاغتساله لم يطهر ولم يرتفع حدثه ، ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول صلى اللّه عليه وسلم .

ويقول كذلك : ما يفعله كثير من الموسوسين بعد البول وهو عشرة أشياء : السلت ، والنتر ، والنحنحة ، والمشي ، والقفزة ، والحبل ، والتفقد ، والوجور ، والحشو ، والعصابة ، والدرجة ، ثم شرحها ابن القيم ثم قال : قال شيخنا : وذلك كله وسواس وبدعة ، فراجعته في السلت والنتر ، فلم يره ، وقال : لم يصح الحديث ، قال : والبول كاللبن في الضرع إن تركته قر ، وإن حلبته درّ . قال : ومن اعتاد ذلك ابتلي منه بما عوفي منه من لهى عنه ، ولو كان هذا سنة لكان أولى الناس به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه ، وقد قال اليهودي لسلمان : (لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ، فقال : أجل) . [انظر " إغاثة اللهفان " (ج١ ص١٦٢ وما بعدها)] .

وعن ابن عقيل أن رجلاً قال له : أنْغَمِسُ في الماء مرارًا كثيرة وأشك : هل صح لي الغسل أم لا ؟ فما ترى في ذلك ؟ فقال له الشيخ : اذهب فقد سقطت عنك الصلاة . قال : وكيف ؟ قال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رُفع القلم عن ثلاثة : المجنون حتى يفيق ، والنائم حتى يستيقظ ، والصبي حتى يبلغ » ، ومن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا ، فهو مجنون .

قال ابن القيم : وبلغني أن موسوسًا كان شديد التنطع في التلفظ بالنية والتقعر في ذلك ، فاشتد في التنطع والتقعر يومًا إلى أن قال : أصلي ، أصلي ، مرارًا صلاة كذا وكذا ، وأراد أن يقول : أداءً ، فأعجم الدال ، وقال : أذاءً لله . فكان في الصلاة رجل إلى جانبه ، فقال : ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين .

وهذا وغيره من الأمثلة كثير ، فمن أراد التخلص من هذه البلية فليعلم أن الحق في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن ما خالفه إنما هو من تسويل الشيطان ووسوسته : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] ، ولينظر حال الصحابة والتابعين وخير القرون ليقتدي بهم ويسلك سبيلهم فإنه سبيل المؤمنين : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] ، ثم ليعلم أن الصحابة لم يكن فيهم موسوس ، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته ، وهم خير الخلق وأفضلهم ، ولو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوسين لمقتهم ، ولو أدركهم عمر ، رضي الله تعالى عنه ، لضربهم وأدبهم ، ولو أدركهم الصحابة لنسبوهم إلى البدعة والضلالة .

هذا وإن للشيطان حيلاً يريد أن يفسد بها على المسلم عبادته فيخدعه بوساوسه فيوقعه في شكوك وأوهام ، لذا جاء الشرع باليقين تقوية للإرادة والعزيمة وعونًا على الشيطان ، فلا يجد سبيلاً ليلبس عليه عبادته .

● اليقين لا يزول بالشك :

فالأمر المتيقن ثبوته لا يرتفع إلا بدليل قاطع ، ولا يحكم بزواله بمجرد الشك ، والأمر إذا تيقن عدم ثبوته لا يحكم بثبوته بمجرد الشك ، لأن الشك أضعف من اليقين ، فلا يعارض ثبوتًا وعدمًا .

قال النووي في « شرح مسلم » : من مسائل هذه القاعدة أن من شك في طلاق زوجته ، أو عتق عبده ، أو نجاسة الماء الطاهر ، أو طهارة النجس ، أو نجاسة الثوب ، أو الطعام أو غيره ، أو أنه صلى ثلاث ركعات أو أربعًا ، أو أنه ركع وسجد أم لا ، أو أنه نوى الصوم أو الصلاة أو الوضوء أو الاعتكاف وهو في أثناء هذه العبادات وأشبه هذه الأمثلة ، فكل هذه الشكوك لا تأثير لها ، والأصل عدم هذا الحادث .

وقال الخطابي في « شرح البخاري » : كل أمر قد ثبت واستقر يقينًا فإنه لا يرفع حكمه بالشك كمن تيقن نكاح امرأة أو ملك رقبة ثم

شك في فسخ النكاح أو زوال الملك فإن الشك في ذلك لا يزاحم اليقين والنكاح على صحته والملك على أصله .

ومن ذلك إيقاع الطلاق في مواطن الشك ، لا يجوز ذلك ، لأنه إن ظن أن في هذا احتياطًا للفروج ، فلقد وقع فيما هو أشد منه ، فأحل ذلك الفرج لكل راغب في الزواج بعده ، والأولى أن يحتاط فيبقي النكاح على أصله ؛ لأنه يقين ، والله أعلم .

ومن فوائد الحديث : أنه قال : " يجد الشيء " كنى بذلك عن ذكر الريح (فساءً وضراطًا) فعدل عن ذكر الشيء المتقذر باسمه الخاص ترفيقًا للحس وحرصًا على تجنب فحش القول مادام ما دونه يغني عنه ، وهو باب جميل في كتب العلوم الشرعية ، فالإسلام رقق حس أهله وروض كلامهم ، فهذه عائشة ، رضي الله عنها ، في حديث السّحر تقول : (يخيل إليه أنه يأتي الشيء) ، تكني عن الجماع ، وصار العرب يقولون : الخلاء والبراز ، وهما بمعنى المكان الفسيح من الأرض أو البعيد ، يطلقون ذلك على قضاء الحاجة التي يستقذر الحس لفظها ، وإنما يذكر اللفظ الصريح عندما يكون تحقيقًا لأمر يحتاجه ضرورة لا مناص منها ، كما جاء عند البخاري وأحمد وأبي داود من حديث ماعز لما أراد أن يستيقن وقوع الزنا منه ذكر اللفظ الصريح الذي لا يحتمل غيرها ، فذكر اللفظة الصريحة التي يستقبحها السمع ، لأن الأمر رجم حتى الموت .

وفي الحديث جاء حرف (أو)[٢] مرتين . الأولى : " لا ينصرف أو لا ينفتل " ، والثاني : " يسمع صوتًا أو يجد ريحًا " ، المرة الأولى من تصرف أحد الرواة لأنه شك هل الذي سمعه الراوي قبله ينفتل أم سمع ينصرف ، وهذه أمارة دقة الأداء حرصًا على اللفظ النبوي وإن كان المعنى واحدًا ، والعلماء يستطيعون غالبًا أن يعرفوا مصدر الشك ، كما في حديث أحمد والترمذي : " الشهداء أربعة " ، جاء فيه فلا أدري أقلنسوة عمر ، وقلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فالشك هنا جاء من أبي يزيد الخولاني الذي رواه عن فضالة الذي رواه عن عمر ، رضي الله عنه . وهذا أمر كثير الوقوع . وقد يكون الحصر في موضع الشك على غلبة الظن كهذا الحديث ، حيث قال ابن حجر : (وكأنه – أي : الشك – من عليٍّ – هو شيخ البخاري الذي رواه عن سفيان – لأن الرواة غيره رووا عن سفيان بلفظ : لا ينصرف من غير شك) .

أما المرة الثانية قوله صلى الله عليه وسلم : " أو يجد ريحًا " ، فهي للتنويع – يقول ابن حجر –: وليس المراد تخصيص هذين الأمرين باليقين ، لأن المعنى إذا كان أوسع من اللفظ كان الحكم للمعنى . (انتهى) .

وهذا الكلام معناه : أن ما يتحقق به اليقين ريح أو قرينة تماثلها في القوة .
هو الذي يبنى عليه الحكم سواء كان صوت أو **كتبه /** محمد صفوت نور الدين

---

(١) عبد الله بن زيد بن عاصم المازني أنصاري خزرجي من بني النجار يعرف بابن أم عمارة . كنيته أبو محمد ، من فضلاء الصحابة ، صاحب حديث الوضوء ، وهو غير عبد الله بن زيد صاحب حديث الأذان . شهد أحدًا وغيرها . وقد شارك وحشيًا في قتل مسيلمة الكذاب - لعنه الله - وحشي بحربته ، وعبد الله بن زيد بسيفه . وكان مسيلمة قد قتل أخاه حبيب بن زيد وقطعه عضوًا عضوًا .

مات سنة ثلاث وستين عن عمر سبعين سنة - وذلك بالمدينة - في وقعة " الحرة " في آخر أيام يزيد بن معاوية .

(٢) أو : حرف يأتي لمعانٍ متعددة خاضعة في إدراكها للسياق . منها الإباحة وهو ما يكون المخاطب حرًا في اختيار أحد البديلين أو الجمع بينهما ، كقوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، وكحديث : " لا تسافر المرأة إلا ومعها زوجها أو ذو محرم " .

التخيير : وهو ترك المخاطب حرًا يختار أحد المتعاطفين فقط دون الجمع بينهما ، كقوله تعالى : ﴿ فإن خفتم فرجالاً أو ركبانًا ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ، وكقوله تعالى : ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ﴾ [المائدة : ٨٩] .

الشك والإبهام : وشرطهما أن يكون قبلها جملة خبرية .

الشك كما في الحديث (فقال : لا ينفتل أو لا ينصرف) .

والإبهام كما في قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] .

التنويع أي لبيان الأنواع والأقسام نحو : ﴿ إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما ﴾ [النساء : ١٣٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ﴾ [النساء : ١٢] .

التفصيل بعد الإجمال نحو الفعل : (إما من ماض أو مضارع أو أمر) .

العطف بمعنى الواو كقوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] .

الإضراب مثل قوله تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ [الصافات : ١٤٧] ، (والمعنى : بل يزيدون) .

أو بمعنى حتى تقول : (ضربًا وطعنًا أو يموت الأعجل) أي حتى يموت .

نفحات من الهجرة

الأحداث التاريخية ، ذات أثر في حياة الفرد ، وسيرة الجماعة والأمم . وكل أثر مهم لا بد أن ترتسم أحداثه في الأفئدة ، وتستقرئ الأجيال منها عبرًا وعظات . فالأيام عندما تطوى ، والسنين عندما تمرّ ، فإنما هي كشريط مسموع أو مقروء يتلهف لما فيه ، ويتطلّع لنهاية الإنسان ، فهو إن استمر معه حتى نهايته ، التي تتم بانطواء البكرة ، وانتهائها حوى هذا الشريط من مشاهد ومعلومات ، يعلق بذهن المتابع أهمها إليه ، ويختفي ما كانت أهميته أقل ، وبانتهاء هذا الشريط ومعرفة ما حوى تتطلع نفس الإنسان إلى شريط آخر بحثًا عما فيه ، ورغبة في تجديد المعلومات لكي يصحح ما يريد ترسيخه من علوم ومعارف .

هذا الشريط ما هو إلا مثال لانطواء السنين ، وتجدد الأحداث في الأيام والليالي ، ويتذكر ذلك الإنسان عندما يستشرف لعام جديد ، بعد انتهاء أعمال الحج في كل سنة ، وعودة ضيوف الرحمن لبلادهم ، حيث يلي ذلك شهر اللّٰه المحرم ، الذي هو بداية العام الهجري ، وبحلول أول يوم فيه ، تنطوي صفحات عام مضى أصبحت أحداثه ذكريات لدى بعض النفوس ، منها الحلو ومنها المر ، وبه أيضًا تنشر صفحات العام الجديد ، الذي يبدأه الإنسان متطلعًا لما يكون فيه من أمور ، وكل عام وما يليه ما هو إلا جزء من شريط العمر الزمني للإنسان ، ينطوي منه ما مضى ويأخذ الدور ما بقي . والناس بما فيه ما بين مستقل ومستكثر ، سواء كان خيرًا أو شرًّا .

والتاريخ الذي هو راصد لما مرّ فيه من أحداث ، بحسب قدرة المؤرخ وسعة اطلاعه ، عندما يقلب الإنسان صفحاته ، فإنه يجد فيه الأمور العجيبة والغريبة ، وإذا استلهمنا من قبساته نفحات من مَطْلع كل عام هجري ، فإننا نجد أمورًا غيرت وجه الأرض ، وأحداثًا رفع اللّٰه بها أقوامًا ، وخفض آخرين ، فنبيُّ اللّٰه موسى ، عليه الصلاة والسلام ، كانت له مع فرعون مصر وقومه أحداث ووقائع ، حيث نجى اللّٰه موسى ، عليه السلام ، وقومه في يوم عاشوراء ، وهو اليوم

بقلم د. محمد بن سعد الشويعر
مستشار مكتب سماحة مفتي السعودية
ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

العاشر من شهر محرم، وأهلك فرعون وقومه بالغرق في ذلك اليوم، ولذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، وجد أهل الكتاب يصومون ذلك اليوم، ولما سألهم عنه، قالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى وقومه، وأهلك فرعون ومن معه، فصامه موسى، عليه السلام، شكرًا لله، فنحن نصومه، فقال لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « نحن أحق بموسى منكم ». فصامه، وأمر بصيامه، ثم أمر بأن يُصام يوم قبله، أو يوم بعده مخالفة لليهود، فكان من نفحات شهر المحرم فضيلة صيام شهر محرم؛ لأنه من الأشهر الحرم، وفضل صيام يوم العاشر من محرم مع يوم قبله أو يوم بعده.

فإذا كان اليهود مع ضلالهم، والمشركون في الجاهلية مع بُعدهم عن الحق، قد رسخ في أذهانهم تعظيم شهر محرم الذي به تبدأ السنة الهجرية، فإن المسلم المتمعن في نصوص شرع الله، والمستقيم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدرك ما لهذا الشهر من مكانة وفق النصوص الشرعية، فقد روى الترمذي في « سننه » عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: سأل رجل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنا قاعد عنده فقال: يا رسول الله، أي شهر تأمرني أن أصوم بعد رمضان؟ قال: « إن كنت صائمًا بعد شهر رمضان، فصم المحرم، فإنه شهر الله، فيه يوم تاب فيه على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين ».

ومن نصر الله الذي حققه سبحانه لنبيه موسى، عليه السلام، في بداية العام القمري. وهو شهر محرم، أهلك الله القوم الظالمين، كما قال تعالى: ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يُرجعون ● فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ [القصص: ٣٩، ٤٠]، فمنّ الله بهذا النصر على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمة، وجعلهم الوارثين، يقول سبحانه: ﴿ ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان

وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ [القصص : ٦] .

وكان في مطلع العام الهجري الأول أن جعل الله لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، والفئة المؤمنة معه فرجًا ، عندما استحكم تضييق المشركين على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبعدما اشتد أذاهم لأصحابه ، أذن الله لنبيه بالهجرة ، حيث بدأ أصحابه في الذهاب من مكة فرادى وجماعات ، إلى مدينة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقاعدة الإسلام الجديدة ، حتى إن بيوتًا خلت من أهلها ، واستقبلهم الأنصار بالترحاب ، وشاركوهم السكن ، وشاطروهم المال ، وفتحوا لهم مع الأبواب الصدور ، بالمحبة والتآخي والتصافي والمودة .

وقد اتخذ المسلمون بداية السنة الهجرية ، التي رصد بها التاريخ من محرم ، وسميت من أيام عمر ، رضي الله عنه ، بالسنة الهجرية ؛ لأن أبرز حدث يمكن جعله مبدءًا للهجرة ، ولتاريخ الأحداث كان بقوة الإسلام وظهوره ، وهذا يوافق ما اصطلحت عليه العرب من جعل شهر محرم بداية للسنة القمرية عندهم ، ولما شاور عمر بأبرز حدث يمكن جعله بداية للتاريخ – لأن الأمم التي بدأت ديارهم تفتتح أمام جيوش الإسلام لها تاريخ ووقت يؤرخون به – فتشاور مع كبار الصحابة ، واستقر الرأي بأن أبرز حدث يمكن اختياره تاريخيًا ، وتؤرخ به الوقائع والأحداث والرسائل ، هو هجرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من مكة إلى المدينة ، التي أصبحت قاعدة للدولة الإسلامية ، ومرتكزًا لتجمع المسلمين ضد المشركين ، فبدأ الجهاد الذي نصر الله به الإسلام ، وبدأت المجابهة ضد من يناوئ دين الله ، ومن يقف في وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتبليغ أمر ربه ، فصمدت الجموع المسلمة بقيادة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومعه الصفوة الصادقة في دينها ، في وجه ثلاث قوى في المدينة وخارجها ؛ قوة المشركين من أهل مكة ومن يشايعهم ، وقوة المنافقين في المدينة ، المرجفين والمثبطين للهمم ، وقوة أهل الكتاب الذين يلبسون على الناس ، ومع هؤلاء جميعًا إبليس وجنوده ، ولكن قوة هذا الدين الذي جاء من عند الله أقوى من كل ذلك .

ولكي يبرز دور الهجرة في إعلاء كلمة الله ، وظهور الحق على الباطل ، فقد بان من السيرة النبوية ، جوانب كثيرة مما لقي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه في هذا السبيل ، من عنت ومشقة ، صبَّها مشركو مكة ومن شايعهم ؛ إيذاء ومحاولة صدّ ، فكانت البداية أن أذن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، فكان في طليعة الدفعة الأولى مصعب بن عمير ، الذي ترك نعيم الحياة ورغد العيش ، ليذهب مع رجال العقبة الأولى من الأنصار بأمر من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، وقد صلّى أسعد بن زرارة الذى استضاف مصعب بالمدينة أول جمعة في الإسلام بأربعين رجلاً ، فكان هذا من نفحات الهجرة ، ونصرًا ارتفعت به مكانة الإسلام في المدينة ، وفتحًا للفئة المؤمنة بربها ، حيث بدأ

الإسلام يتنامى وتتسع دائرته، حتى دخل غالبية بيوت الأنصار؛ لأن النفوس المخلصة الصادقة بذلت كل ما تستطيع، فهيأ اللّه لعملها قبولاً، وقلوبًا متفتحة، فبرزت النتيجة عاجلاً.

ومن أوائل من ذهب للمدينة مهاجرًا، قبل مقدم رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، أبو سلمة، الذي كانت حكاية هجرته وما حصل لأم سلمة، رضي اللّه عنها، واقعة مؤلمة، وندع ابن إسحاق يرويها قائلاً: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة قالت أم سلمة: رَحَّل لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة. فقالوا: لا واللّه لا نترك ابننا عندها، إذْ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا ابنها سلمة بينهم، حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبًا منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها، وبين ولدها، فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق اللّه، فقلت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم، لقيت عثمان بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أوَ ما معك أحد؟ فقلت: لا واللّه، إلا اللّه وبُنَيَّ هذا؟ قال: واللّه ما لك من مترك، فأخذ بخطام بعيري، فانطلق معي يهوي بي، فواللّه ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني إلى شجرة، قيد بعيري فيها وحطّ عنه، ثم تنحّى عني إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيري فقدّمه فرحله ثم يتأخر عني. وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري، أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو طلحة نازلاً – فادخُليها على بركة اللّه، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: واللّه ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة؛ وهذه الحكاية التي هي عبرة لكل مسلم وما يجب

أن يصبر عليه من الأذى في سبيل دينه بإخلاص مع اللّه ، وصدق وثبات ، هي نفحة من نفحات الهجرة النبوية التي يطل علينا هلالها .

وهذا صهيب بن سنان الرومي ، رضي اللّه عنه ، حين أراد الهجرة قال له كفار مكة : أتيتنا صعلوكًا حقيرًا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، واللّه لا يكون ذلك . فقال لهم : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني قد جعلت لكم مالي . فبلغ ذلك رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب .. » ، وما ذلك إلا أن صهيبًا أرخص ماله في سبيل سلامة دينه ، وتركِه يسافر للمدينة مهاجرًا .

وعمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه ، لما أراد الهجرة تقلّد سيفه ، وطاف بالبيت ، ثم مرّ على مجامع قريش ، وقال لهم مجمعًا مجمعًا : إنني مهاجر إلى المدينة ، ومن أراد منكم أن تثكله أمه ، فليتبعني خلف الوادي . فلم يتبعه أحد ، خوفًا من سطوته وقوته ؛ لأنه إذا قال فعل ، فكانت فرصة لبعض المستضعفين من المسلمين أن يلحقوا به ، ليهاجروا في كنفه وتحت حمايته .

وكانت من نفحات الهجرة العديدة ، ودورها في تغيير بنية المجتمع المدني بالترابط والألفة ، ما حرص عليه رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، من تقريب وتآخٍ ، بين الأنصار والمهاجرين ، حيث نزل كل مهاجر على أخيه من الأنصار ، فصارت أخوة الإسلام أمكن من رابطة النسب ، حتى بلغ الأمر بالأنصار إلى أن يتقاسم كل منهم ماله مع أخيه المهاجر ، ويخيّره بين زوجاته ، ليطلّق له ما يريد ، حتى يتزوجها ، إنه فداء ما بعده فداء ، وإيثار لا يعرف له التاريخ مثيلاً .

أما أكبر الحوادث وأعظمها أثرًا فما كان من قريش ، الذين حركهم الحقد الدفين ، لينالوا من رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، بعدما أحزنهم ما صارت له من شيعة وأصحاب من غيرهم ، وبغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، فعرفوا أنهم قد نزلوا دارًا ، وأصابوا منهم منعة ، فخافوا خروج رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، وعلموا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة ، التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها ؛ يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، ولما غدوا إلى الدار في موعدهم ، اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ ، فاستأذن في الدخول معهم ، فأذنوا له ، فتشاوروا في أمره ، فقال بعضهم : احبسوه في الحديد ، وقال بعضهم : نخرجه من بين ظهرانينا ، فننفيه عن بلادنا ، فقال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليلاً نسيبًا وسيطًا فتيًا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ويضيع دمه في القبائل ، قال إبليس : هذا هو الرأي الأصوب .

وأجمعوا أمرهم على ذلك ، ورصدوا لرسول اللّه ، صلى اللّه عليه وسلم ، في الليلة الموعودة ، فاستخلف النبي ، صلى اللّه عليه وسلم ، عليًا ليكون في فراشه ، وجاء صلى اللّه

عليه وسلم ، هذا الجمع فذرّ على رءوسهم التراب ، وهو يتلو : ﴿ يس * والقُرآن الحكيم ﴾ الآيات [يس : ١، ٢] ، وخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكانت قبسات الهجرة قد عمت كل بيت ، وتفيأ المسلمون ظلالها في رحلة الخير التي جعلها الله نصرًا للإسلام ، وقوة للمسلمين ، وقد أذل الله المشركين ، وقتل صناديدهم في بدر وغيرها من المشاهد ، وارتفعت راية الإسلام عالية ، وصوت الإسلام مدويًا في الآفاق .

* تجارة الرسول صلى الله عليه وسلم للشام :

ذكر ابن الجوزي في كتابه « الوفاء بأحوال المصطفى » (١/ ٢٣٥، ٢٣٦) في خبر خروج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الشام في تجارة لخديجة : عن نفيسة بنت منبه قالت : لما بلغ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خمسًا وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد ، تبعث رجالاً من قومك في عيراتها ، فلو جئتها ، فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، فأرسلت إليه في ذلك ، وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك ، فقال أبو طالب : هذا رزق ساقه الله إليك ، فخرج مع غلامها ميسرة ، وجعل عمومته يوصون به أهل العير ، حتى قدموا بصرى من أرض الشام ، فنزل في ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلا نبي ، ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة لا تفارقه ؟ قال : نعم ، قال : هذا نبي وهو آخر الأنبياء ، ثم باع سلعته ، فوقع بينه وبين رجل تلاح ، فقال له : احلف باللات والعزى ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما حلفت بهما قط ، وإني لأمُرُّ بهما ، فلا التفت إليهما » . فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة : هذا والله نبيّ ، تجده أحبارنا منعوتًا في كتابهم .

وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملَكين يظلان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة ، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون ، ودخل مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجة في عُلّيَة لها ، فرأت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو على بعيره ، وملكان يظلانه من الشمس ، فأرته نساءها فعجبن لذلك .

ودخل عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فخبرها بما ربحوا في وجوههم ، فسرّت بذلك ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت ، فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرها بما قال الراهب نسطورا وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القدس والأقصى بيد الله عز وجل !!

الشيخ / أبو بكر الجزائري :

☐ لو أن الفلسطينيين أسلموا قلوبهم ووجوههم للَّه رب العالمين ، وعزموا على أن يحيوا ملة الإسلام ، ويقيموا دين اللَّه لاجتمعت كلمتهم ولنصرهم اللَّه . .

☐ لو اجتمعت الأمة الإسلامية لحوَت العالم كله تحت نظامها .

الشيخ / عمر فلاتة :

☐ يجب على المسلمين أن يتكاتفوا ويتآزروا حتى يتم خلاص القدس والأقصى .

الدكتور / الشويعر :

☐ قضية القدس قضية دينية ، والأمور الدينية لا تُؤخذ بحسبان السياسة .

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ :

☐ قضية القدس قضية إسلامية والذِي يُدافع عنها هم المسلمون .

المدينة المنورة / مكة المكرمة

إعداد / جمال سعد حاتم

الغدر وعدم الوفاء بالعهود صفة من صفات اليهود ، وفي الآونة الأخيرة ثبت ذلك جليًا ، والقدس باعتبارها قضية المسلمين الأولى ؛ تئن تحت وطأة الاحتلال ، ومحاولة التهويد الإسرائيلية ، وردود الأفعال لما يحدث وضرورة تكاتف العلماء مع الشعوب والقادة لوقف هذا العبث ، والموقف المخزي الذي تتبناه أمريكا بمؤازرتها للباطل ومناصرة إسرائيل في المحافل الدولية ، والكثير والكثير مما يشغل بال المسلمين حول القدس والأقصى نستعرضه من خلال التحقيق التالي :

القدس والأقصى بيد الله عز وجل

يقول فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ، والذي يعتلي وجهه البشوش شعور بالألم عند الحديث عن القدس والأقصى قائلا : تصوري ، والذي أقوله : أن القضية الفلسطينية بيد الله ، عز وجل ، وليس بيد أحد غير الله ، فالقضية الفلسطينية أرادها الله تأديبًا للمسلمين ، وتعليمًا لهم لعلهم يتوبون ، إذ من غير المعقول أن حفنة من اليهود تقهر وتذل ألف مليون مسلم ، لولا أن الله أراد ذلك ، إن المسلمين عدلوا عن الصراط المستقيم وعطلوا شرائع الله وأحكام دينه وأقبلوا على المذاهب الإلحادية ، وأعرضوا إعراضًا كاملا إلا من رحم الله عن الروح الإسلامية ، فلو نصرهم الله في حروبهم مع تلك الحفنة من اليهود لكان لم يبق للمسلم مجالٌ يقول فيه : أنا مسلم ، لكن تدبير الله العلي الحكيم أذل العرب بصفة خاصة ، والمسلمين بصفة عامة ، لعلهم يفيقون من سكراتهم ، ويعودون إلى الطريق المستقيم ، فكل الحركات والمحاولات لم تستطع أن تنهي مشكلة فلسطين ، ولم تقو على إنهائها ، فقد يعلنون الحرب العامة على اليهود ، وما هم بقادرين على ذلك وسوف ينهزمون .

الحل الوحيد عودة المسلمين إلى الإسلام

ويواصل الشيخ حديثه قائلاً : إن الحل الوحيد والذي لا بديل عنه أن يعود المسلمون إلى الإسلام ، ولا أقوى أن أقول كل المسلمين ؛ بل أقول : لو أن الفلسطينيين فقط أسلموا قلوبهم ووجوههم لله رب العالمين ، وعزموا على أن يحيوا ملة الإسلام ويقيموا دين الله ، فاجتمعت كلمتهم وعبدوا ربهم مدة من الزمن قد لا تزيد على عامين أو ثلاثة ، وقالوا : الله أكبر ، وجاهدوا . والله لينصرهم الله ، وهو العليم الحكيم .

أما وقد أخذوا الحصة التي أعطيت لهم ، ما أعلنوا فيها عن الإسلام ولا عبدوا فيها الله ، ولا رجعوا إليه ، ولا أنابوا إليه ورجعوا إلى حكمه وقضائه وقدره . فهم كغيرهم من المسلمين ، فمن أين يأتيهم النصر ، فطرق النصر مسدودة ، والأبواب مغلقة ولا يحلها إلا الله ، فلا بد من الإسلام من جديد ، فلو أن العرب أعلنوا عن كلمتهم : بايعنا إمامًا للمسلمين فلانا ، ووضعوا مفاتيح بلادهم في يديه وأصبحت بلاد العرب كلها ، بل المسلمون بلدًا واحدًا ، عُملتهم واحدة ، ملتهم واحدة ، شريعتهم واحدة ، والله لارتعد العالم ، واهتزت أركانه ، ولم يبق لليهود من

معنى في وجودهم ، وهذا سيكون ، إن شاء الله ، ولكن متى ؟ وعلى يد من ؟ الله أعلم ، أما وهو كائن .. وذلك لقول الرسول ﷺ في « الصحيح » : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبئ اليهودي وراء الشجر ، فيقول الحجر ويقول الشجر : يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله » . فهل الشجر والحجر يكذب وهو ينطق بأمر الله ؟! ما يكذب !! فهل يقول الشجر والحجر لهؤلاء العرب المجندون عسكريًا يا مسلم !! فأين إسلامهم ، فلا بد وأن يكون إسلام حقيقي ، وعندئذ تنتهي مشكلتنا ، قبل هذه ما تنتهي ، فالآن يزدادون قوة ويزدادون تسلطًا ، ولن تستطيع الأمم المتحدة فضلاً عن العرب أن يقهروهم أو يذلوهم ؛ لأن هذا من تدبير العليم الحكيم .

لا بد من التوبة حتى تتفتح أبواب الخير

وسط كلمات الشيخ التي تجعلك صاغيًا متنبهًا بكل حواسك وهو يضع الحل الإسلامي لكل مشاكل المسلمين قائلا : إننا أمام خيارين ؛ فإما أن نتوب ، وتوبتنا لا تتطلب كثيرًا ؛ أربعة أشياء : كلمتنا واحدة ، عُملتنا واحدة ، جيشنا واحد ، كلنا نعمر بيوت الله ونطبق شرع الله ، ماذا يكلفنا هذا ؟ لا شيء ، وتتفتح أبواب الهدى والخير على أمة الإسلام .

ولكن مادمنا مُصرِّين على الخيار الثاني ؛ وهو أن لا عودة إلى الله فيبقى هذا ، ولهذا قلت أكثر من مرة : إنه لا يجوز للإخوة الفلسطينيين أن يفجروا سيارة ، أو أن يفعلوا كذا أو كذا ، فهذا لن ينفع ، ولا يزيدهم أبدًا إلا انهزامًا ، فليكثروا من طاعة الله ، بعبادته وذكره واللجوء إليه ، والاتصال بالله أولى من أن يعجزوا ، أو يعلنوا عن حرب هم عاجزون عنها ويزدادون كل يوم في التوبة ، فهذا هو الذي قلته ومازلت أقوله ، والله تعالى نسأل أن نكون على علم فيما أقول . والله تعالى أسأل أن يوفقني وكل المؤمنين

المحن والفتن سببها بُعدنا عن الله

وعن القدس وضرورة تكاتف العلماء مع الشعوب والقادة يقول فضيلة الشيخ عمر فلاتة : فإن ما ذكرتم هو الواقع الأليم الذي يشعر به كل مسلم ؛ بل يشعر به كل من كان متبعًا للشريعة السمحاء التي بعث الله بها نبينا محمدًا ﷺ ، فتكاتف العلماء والأمراء والشعوب الإسلامية أمر واجب دعا إليه الله في كتابه ودعت إليه السنة المطهرة عن رسول الله ﷺ وأنا لا أشك أن هذه المحن والفتن والمصائب التي حلت بالمسلمين في هذه الأزمان إنما وقعت بسبب بُعدنا عن ربنا ، تبارك وتعالى ، وعدم تمسكنا بهدي نبينا ﷺ .

ومادام العلماء والأمراء وشعوب العالم الإسلامي نأت عن المصدرين اللذين دعا الله ، عز وجل ، إليهما ؛ فلا أعتقد أن هذا الكابوس سيُرفع عنهم ، إنما يُرفع عنهم بعد العودة إلى الله .

القدس قضية المسلمين في كل بقاع الأرض

ويواصل الشيخ حديثه قائلا : إنني أتصور أن هذه النكبات والمصائب والفتن والمحن التي حلت بالمسلمين في هذه الأزمان ، هي إرهاصات ومبادئ لما أخبر به الرسول ﷺ ، وما يقع في آخر الزمان ، فالمسلمون إن لم يتحدوا ويتكاتفوا ويعودوا إلى ربهم ، وإلى نبيهم ﷺ ، سيظل الأمر على هذا الحال حتى ينزل عيسى ، عليه السلام ، وإذا ما نزل عيسى ، عليه السلام ، في آخر الزمان وجدد هذه الملة السمحاء والتجديد ليس كالتأصيل ، فالأصل هو ما جاء به محمد ﷺ ، وإنما عيسى ؛ عليه السلام ، مجدد ولا يعتبر في ذلك الوقت نبيًا ولا رسولاً ، وإنما مجددًا لسنة النبي ﷺ ، فيزيل هذا الكابوس ، إن شاء الله ، وأما تسمية القضية بالقضية الفلسطينية فأنا لا أقبل بهذه التسمية ، قضية فلسطينية .. وقضية عربية .. وقضية قومية .. فهذا ما أرفضه ، فالقضية قضية إسلامية حتى لا تخرج المسلمين في كل بقاع الأرض ؛ في إفريقيا .. وإنجلترا .. والشيشان .. وتركيا ؛ وغيرها . ولكن القضية قضية إسلامية كما أرادها الله .

اليهود أهل غدر وخيانة

وعن القرارات الأخيرة التي صدرت عن اجتماعات القمة الطارئة للدول الإسلامية ولجنة القدس ووزراء خارجية الدول العربية والتي كان من ضمن قراراتها قرار وقف التطبيع والهرولة مع العدو الصهيوني بعد الأحداث الأخيرة في مدينة القدس.

يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر (المستشار بمكتب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية التي تصدرها هيئة كبار العلماء) : لست من رجال السياسة حتى أعطيكم رأيًا فيما يتعلق بالحكومات وما يجب أن تتخذه .. ولكن الذي يجب أن يهتم به كل مسلم أن القضية قضية دينية ، والأمور الدينية لا تؤخذ بحسبان السياسة ، ولا يخفى على كل مسلم ما جاء في كتاب الله الكريم من حوار مع أهل الكتاب وتفنيد لشبهاتهم ، وخير شاهد في هذا المائة آية الأولى من سورة « البقرة » ، والثمانون آية الأولى من سورة «آل عمران» .. وغير هذا من مواقف جاءت في ثنايا كتاب الله ، عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ ؛ بل لم يبرز اهتمام بأي أمة بمثل ما جاء مع أهل الكتاب ، ولعل هذا – والله سبحانه وتعالى أعلم بالحكمة – مما يبرهن أن صراع أهل الإسلام مع أهل الكتاب – وهم اليهود والنصارى – طويل وشبهاتهم تبرز في كل عصر بثوب جديد ، وعلى المسلمين أن يستمدوا من القرآن الكريم ما يعينهم على فهم الأمر جيدًا ، ولا يخفى على من يقرأ السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ عندما هاجر للمدينة اتخذ معهم العهود والمواثيق وصالحهم ، وحاورهم في شبهاتهم ، حتى بدر الغدر منهم ونقضوا العهود والمواثيق ، فقامت عليهم الحجة ... والإمام مالك ، رحمه الله ، يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

والنفسُ الطويل معهم ، والسير على منهج النبوة يقيم عليهم الحجة دوليًا حتى يتغير المفهوم العام عنهم ؛ ولذا فإن المسلمين مطالبون بفهم دينهم فهمًا واعيًا ، والانطلاق من قاعدته الراسخة التي وضع أسسها رسول الله ﷺ ، الذي أخبرنا بأن الانتصار عليهم حتمي ، ولكن متى ؟ إن دين الإسلام ليس انتماءً حزبيًا ، ولكن عقيدة وعمل ، والعقيدة توجب الصدق مع الله في القول والعمل ، ألم يقل سبحانه وتعالى : ﴿ كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٣] ، ويقول سبحانه : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

تكاتف المسلمين لخلاص الأقصى

ويقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ (نائب مفتي عام المملكة العربية السعودية وعضو هيئة كبار العلماء) : إن قضية القدس قضية إسلامية والذي يدافع عنها هم المسلمون ؛ وهم أولى بالنضال والتحدث والدفاع عنها ، لأن المسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي شرع شد الرحال لزيارته ، كما قال ﷺ : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد ؛ مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى " . فإذا كان شد الرحال سنة وإنه مما يجوز شد الرحال إليه وهو مسرى رسول الله ﷺ ، فدفاع المسلمين عنه وحمايتهم له ونضالهم عنه هو قضية إسلامية قبل كل شيء ؛ ولأنها قضية إسلامية فهي تنبعث من أعماق قلوب المسلمين .

ويواصل فضيلته قائلاً : إن المسلمين يجب أن ينتبهوا لهذا الجانب ويهتموا به ويتكاتفوا في هذا الأمر ، وأن يسعوا فيما يخلص هذا المسجد ويمكن المسلمين من الصلاة فيه ، ويعيده إن شاء الله إلى الحظيرة الإسلامية كما كان من قبل .

آمين يا رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إعداد / جمال سعد حاتم

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها

فضيلة الشيخ
أبو إسحاق الحويني

●● يسأل القارئ : محمود إبراهيم يزيد – سوهاج – مركز البلينة – عن صحة هذه الأحاديث :

١- « من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي أحدًا ، أضعف اللَّه له أجر الصف الأول » ؟

٢- « إن للصلاة المكتوبة عند اللَّه وزنًا ، من انتقص منها شيئًا حوسب به فيها على ما انتقص » ؟

٣- « من غسَّل واغتسل وبكَّر وابتكر ، ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها » ؟ وما معنى هذا الحديث ؟

٤- « من جمع مالاً حرامًا ، ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر ، وكان إصرُهُ عليه » ؟

٥- إن النبي صلى اللَّه عليه وسلم مرَّ على قبرٍ فأشار إليه وقال : « ركعتان أحبُّ إلى صاحب هذا القبر من دنياكم » ؟

● فالجواب بعون الملك الوهاب :

٭ أما الحديث الأول :

فإنه باطلٌ ؛ أخرجه الطبرانيُّ في « الأوسط » (٥٣٧) من طريق الوليد بن الفضل العنزي ، ثنا نوح بن أبي مريم ، عن زيد العمِّي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباسٍ مرفوعًا . فذكره ، قال الطبرانيُّ : (لا يُروى هذا الحديث عن ابن عباسٍ إلاَّ بهذا الإسناد ، تفرد به الوليد بن الفضل) . اهـ .

– قُلْتُ : والوليد ترجمه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١٣/٢/٤) ، ونقل عن أبيه قال : (مجهولٌ) . وترجمه ابنُ حبان في « المجروحين » (٨٢/٣) : (شيخ يروي المناكير التي لا يشكُّ من تبحَّر في هذه الصناعة أنها موضوعةٌ . لا يجوز الاحتجاج به بحال إذ انفرد) . اهـ . ولم يتفرد به كما قال الطبرانيُّ ، بل تابعه أصرم بن حوشب ، ثنا نوح بن أبي مريم به بلفظ « من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي مسلمًا فقام في الصف الثاني أو الثالث ؛ ضاعف اللَّه أجر الصف الأول » .

أخرجه ابن عدي في " الكامل " (٢٥٠٧/٧) ، وهذه المتابعة كسراب بقيعةٍ ، وأصرم بن حوشب أصرمٌ من الخير والفضل ، فقد كان كذابًا خبيثًا كما قال ابن معين ، وقال ابن حبان : كان يضعُ الحديث على الثقات ، وتركه البخاريُّ ومسلم والنسائيُّ ، وأيضًا في إسناده نوح بن أبي مريم ، وكان يلقب بـ " الجامع " ، لأنه جمع علومًا كثيرة ، لكنه كان يضع الحديث ويكذب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وهو الذي وضع الأحاديث في فضائل سور القرآن ، فلما سُئل عن ذلك قال : رأيتُ الناس شغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازى ابن إسحاق عن قراءة القرآن ، فوضعت هذه الأحاديث حسبةً للّه تعالى ! فما أشدَّ غفلته ، إذ يتقرب إلى اللّه تعالى بالكذب على النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وقد صدق ابن حبان إذ قال فيه : (جمع كلَّ شيء إلاَّ الصدق) .

وفي الإسنادَ أيضًا : زيد العمي وهو ضعيفٌ ، وقد روى ابن حبان هذا الحديث في " المجروحين " (٤٨/٣ ، ٤٩) من طريق أصرم بن حوشب بسنده سواء ، ثم قال : (وأصرم بن حوشب وزيد العمي قد تبرأنا من عهدتهما) . فالسند في غاية السقوط ، ثم معناه منكرٌ ؛ لأنه يخالف الأحاديث الصحيحة التي ترغب في الصف الأول ، حتى لو وصل الأمر إلى إجراء القرعة : من يظفر بالفرجة في الصف الأول ؟ فأخرج البخاريُّ (٢٠٨/٢) عن أبي هريرة مرفوعًا : " ولو يعلمون ما في الصفّ المقدّم لاستهموا " . قال الحافظ في " الفتح " : (والصف المقدم : هو الذي لا يتقدمه إلاَّ الإمام) . وهو عند مسلم ، وفي لفظ لمسلم (٤٣٩) : " لو يعلمون ما في الصف المقدّم لكانت قرعة " .

وأخرج مسلمٌ (٤٤٠) ، وغيرُه عن أبي هريرة مرفوعًا : " خير صفوف الرجال أوّلها .. " الحديث . وأخرج مسلم (١٣٠/٤٣٨) ، والنسائي (٨٣/٢) ، وابن خزيمة (١٥٦) عن أبي سعيد الخدري قال : رأى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في أصحابه تأخرًا فقال لهم : " تقدموا فائتموا بي ، وليأتم بكم مَن بعدكم ، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم اللّه " . وبوّب عليه ابن خزيمةِ قوله : (باب التغليظ في التخلف عن الصف الأول) . والأحاديث في هذا الباب كثيرة . واللّه أعلمُ .

*** أمَّا الحديث الثاني :** " إن للصلاة المكتوبة .. " فهو حديثٌ موضوع ، أخرجه الأصبهاني في " الترغيب " (١٨٩٢) من حديث عائشة ، رضي اللّه عنها ، وفي إسناده أبو بكر بن عبد اللّه بن أبي سبرة ، وهو هالك البتة . قال أحمد : (كان يضع الحديث) ، وكذلك قال ابن حبان ، وابن عدي ، وتركه النسائيُّ . وقال البخاريُّ : (منكر الحديث) ، وهو جرحٌ شديدٌ عنده . والحديث ضعّفه المنذري في " الترغيب " (رقم ٧٤٢) فصدّره بقوله : (رُوي) ، كما هو مصطلحه في (كتابه) ، وكان حقه أن يُحذف من الكتاب ، فأمثال هذه الأحاديث لا خير فيها ولا فائدة من نشرها . واللّه أعلم .

*** أمَّا الحديث الثالث :** " من غسل واغتسل .. " . فهو حديث صحيحٌ .

أخرجه أبو داود (١٠/٢، ١١) ، والنسائيُّ في " المجتبى " (٩٥/٣، ٩٦) ، وفي " كتاب الجمعة " (٣١) ، والترمذيُّ (٣/٣، ٤) ، وقال : (حديثٌ حسنٌ) ، وابنُ ماجه (٣٧٧/١، ٣٧٨) ، والدارميُّ (٣٠٢/١) ، وأحمد في " المسند " (٨/٤، ٩، ١٠، ١٠٤) وآخرون من حديث أوس بن أبي أوس ، رضي اللّه عنه .

وصححه ابن خزيمة (١٢٨/٣، ١٢٩) ، وابن حبان (٥٥٩) ، والحاكم (٢٨١/١، ٢٨٢) .

أما معناه ؛ فقال ابن خزيمة : (معناه ؛ جامع فأوجب الغسل على زوجه أو أمته ، واغتسل

هو) . فقوله : « غسّل » بتشديد السين ، وقال الخطابي في « معالم السنن » (١/١٠٨) : (قولُهُ : « غسّل واغتسل ، وبكّر وابتكر » اختلف الناس في معناهما ، فمنهم من ذهب إلى أنه من الكلام المتظاهر الذي يراد به التوكيد ، ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين ، وقال : ألا تراه يقول في هذا الحديث : « ومشى ولم يركب » ومعناهما واحدٌ ، وإلى هذا ذهب الأثرم صاحبُ أحمد .

وقال بعضهم : قوله : « غسّل » معناه ؛ غسل الرأس خاصةً ، وذلك لأن العرب لهم لممٌ وشعورٌ ، وفي غسلها مئونةٌ ، فأفرد ذكرُ غسل الرأس من أجل ذلك ، وإلى هذا ذهب مكحولٌ ، وقوله : « واغتسل » معناهُ ؛ غسل سائر الجسد ، وزعم بعضهم أن قوله : « غسّل » معناه ؛ أصاب أهله قبل خروجه إلى الجمعة ليكون أملك لنفسه ، وأحفظ في طريقه لبصره ، قال : ومن هذا قولُ العرب : (فَحْلٌ غُسَلَةٌ) إذا كان كثير الضراب . وقوله : « بكّر وابتكر » زعم بعضهم أن معنى : « بكّر » ؛ أدرك باكورة الخطبة ، وهي أولها ، ومعنى « ابتكر » ؛ قدّم في الوقت ، وقال ابنُ الأنباري : معنى : « بكّر » تصدّق قبل خروجه ، وتأوّل في ذلك ما روي في الحديث من قوله : « باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها » . انتهى كلام الخطابي ، والحديث الذي ذكره ابنُ الأنباري أخرجه البيهقيُّ في « شعب الإيمان » (٣٣٥٣) ، وفي إسناده بشر بن عبيد منكرُ الحديث جدًّا ، ورجح المنذري في « الترغيب » (١٢٨٦) أنه موقوف على أنس . والله أعلمُ .

وأخرجه الطبرانيُّ في « الأوسط » (٥٦٤٣) ، وفي إسناده عيسى بن عبد اللّه متروك واتهم بالوضع .

* أمّا الحديث الرابع : « من جمع مالاً حرامًا .. » . فهو حديث حسنٌ .

أخرجه ابن خزيمة (٢٤٧١) ، وابن حبان (٧٩٧) ، والحاكم (١/٣٩٠) ، وابن الجارود (٣٣٦) ، والبيهقي (٤/٨٤) من طريق عمرو بن الحارث ، حدثني دراج أبو السمح ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك فيه ، ومن جمع مالاً حرامًا .. » الحديث .

وأخرج أوّله : الترمذيُّ (٦١٨) ، وابن ماجه (١٠٧٨٨) ، والبغوي في « شرح السنة » (٦/٦٧) ، وقال الترمذيُّ : (حديثٌ حسنٌ غريبٌ) . وضعّف إسناده الحافظ في « التلخيص » (٢/١٦٠) ، أمّا الحاكم فقال : (صحيح الإسناد) . كذا نقله المنذري في « الترغيب » (١٠١١٤) ، والذي رأيتهُ في « المستدرك » أنه قال : (شاهدٌ صحيحٌ من حديث المصريين) .

والصواب عندي أن هذا الإسناد حسنٌ ، ودراج صدوق متماسكٌ ، وإنما وقعت المناكير في روايته عن أبي الهيثم وليس هذا منها . والله أعلم .

* أمَا الحديث الخامس : « ركعتان أحب .. » إلخ فهو حديثٌ حسنٌ .

أخرجه الطبرانيُّ في « الأوسط » (٩٢٠) قال : حدثنا أحمد ، قال : نا حفص بن عبد الله الحلواني ، قال : نا حفص بن غياث ، عن أبي مالكٍ الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على قبر .. وذكره .

قال الطبرانيُّ : (لم يرو هذا الحديث عن أبي مالكٍ ، إلاّ حفصُ بن غياث ، تفرّد به : حفص بن عبد الله) .

– قلتُ : وهو صدوقٌ كما قال أبو حاتم ، وشيخ الطبرانيُّ هو أحمد بن يحيى الحلواني ثقة أيضًا ، وانظر « تاريخ بغداد » (٥ ٢١٢) ، وبقية رجاله مشاهيرٌ ، من رجال « التهذيب » ، وقال المنذري في « الترغيب » (٥٥٦) : (إسنادُهُ حسنٌ) . وقال الهيثميُّ في « المجمع » (٢/٢٤٩) : (رجالُهُ ثقات) .

•• ويسأل القارئ : محفوظ السيد - مركز العياط - محافظة الجيزة - فيقول :

هل ثبت أن أحدًا من الأئمة الستة روى عن بعضهم في كتبهم المشهورة المتداولة ؟ أو في غيرها ؟

• **فالجواب بعون الملك الوهاب :** أما الترمذيُّ فروى في « سننه » حديثًا واحدًا عن الإمام مسلم ، وذلك في « كتاب الصيام » رقم (٦٨٧) قال : حدثنا مسلم بن حجاج ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « احصوا هلال شعبان لرمضان » .

أمَّا النسائيُّ ، فوقع في رواية ابن السني عنه أنه روى عن البخاري . وذلك في « كتاب الصيام » (١٢٥/٤) قال : أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري قال : حدثني حفص بن عمر بن الحارث ، ثنا حماد ، ثنا معمر والنعمان بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : ما لعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من لعنةٍ تذكرُ . كان إذا كان قريب عهد بجبريل ، عليه السلام ، يدارسه ، كان أجود بالخير من الريح المرسلة .

قال في « الأطراف » : كذا رواه أبو بكر بن السني عن النسائي عن محمد بن إسمعيل فحسب . ولم يذكر فيه البخاري ، وفي نسخةٍ : (هو أبو بكر الطبراني) ، ولم أجد رواية في « المجتبى » عن البخاري قط ، وأعتقد أن ذكر البخاري في هذا الموضع غلطٌ ، وقد وقفت في « التاريخ الكبير » (٤١٢/٢/٤) للبخاري على ترجمة : (يونس بن راشد الحراني) ، فقال البخاريُّ : قال أحمد بن شعيب : كان راعيًا .

فعلّق على ذلك الشيخ العلامة ذهبيُّ العصر عبد الرحمن المعلمي ، رحمه اللّه ، قائلا : (في نسخة : سعيد - يعني : بدل شعيب - فإن صحَّ هذا فالظاهر أنه أحمد بن سعيد الدارميُّ ، وإن صحَّ الأول فالظاهر أنه النسائي « صاحبُ السنن » ، ويوافقه قول ابن حجر في « تهذيب التهذيب » : (قال البخاري : كان مرجئًا ، وقال النسائيُّ : كان راعية) . وكأنه إنما أخذ من هذا الكتاب ، فإني لم أر يونس في « الضعفاء والمتروكين » للنسائي ، وقد يستبعد هذا بأن البخاري ، رحمه اللّه تعالى ، ألّف هذا الكتاب قديمًا وعرضه على إسحاق بن راهويه ، فإن كان قد لقيه النسائيُّ في ذلك الوقت فيكون سِنُّ النسائي حينئذٍ دون العشرين ، وقد يبعُد أن يعتمد عليه البخاريُّ في مثل هذا ، لكن قد **يقالُ : لعلَّ البخاريَّ ألحق هذه العبارة في أواخر** عمره ، فإنه كان يزيد في التاريخ ، وكانت وفاة البخاري وعمر النسائي نحو أربعين . واللّه أعلم) . انتهى كلامه .

وأما رواية النسائي عن أبي داود « صاحبْ السنن » ، فقد نظر فيها الذهبي في « السير » (٢٠٧/١٣) ، فقال : (وقد روى النسائيُّ في « سننه » مواضع يقول : حدثنا أبو داود ، حدثنا سليمان بن حرب ، وحدثنا النفيلي ، وحدثنا عبد العزيز بن يحيى المدني ، وعلي بن المديني ، وعمرو بن عون ، ومسلم بن إبراهيم ، وأبو الوليد ، فالظاهر أن أبا داود في كل الأماكن هو السجستاني فإنه معروفٌ بالرواية عن السبعة ، لكن شاركه أبو داود سليمان بن سيف الحراني في الرواية عن بعضهم ، والنسائي فمكثر عن الحراني ، وقد روى النسائي في كتاب « الكنى » عن سليمان بن الأشعث ولم يُكنه ، وذكر الحافظ ابنُ عساكر في « النبل » (ص١٣٢) أن النسائي يروي عن أبي داود السجستاني) . انتهى . واللّه أعلمُ .

* * *

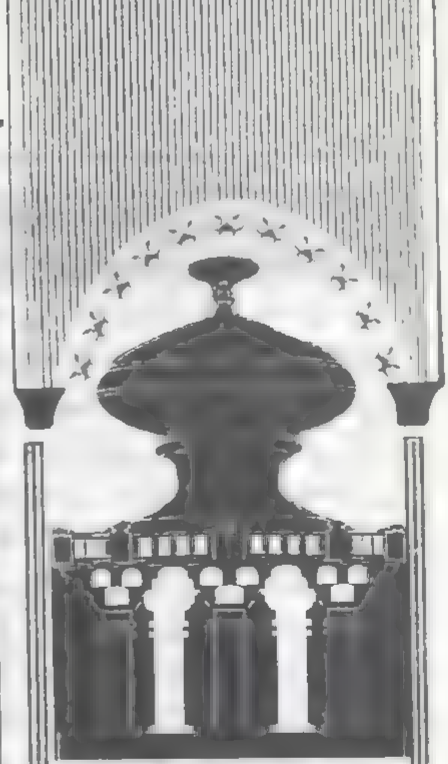

الفتـــاوى

إعــداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام
رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين
أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د . جمال المراكبي

■ يسأل القارئ : أحمد حسن البنا - محافظة الشرقية :

عن حقيقة المسيح الدجال . ولماذا اختلف الصحابة في شأنه ؟ ولماذا لم يرد ذكره في القرآن الكريم للتحذير من أمره ؟ وكيف يكون يومه كسنة أو كشهر ؟

□ الجواب : المسيح الدجال رجل من بني آدم ، خلقه الله تعالى ليكون فتنة للناس في آخر الزمان ، وخروجه علامة من علامات الساعة الكبرى التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يخرج بعد قتال عنيف يدور بين المسلمين وبين الروم ينتصر فيه المسلمون . ثم يعلمون بعد ذلك بخروج الدجال من ناحية المشرق ، ويتسلط الدجال على مشارق الأرض ومغاربها ، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه وتسلط عليه باستثناء مكة والمدينة ؛ فإن الملائكة تمنعه من دخولهما . ولكن يخرج إليه منهما كل منافق وكافر .

ومدة مقامه في الأرض أربعون يومًا . ولكن أيامه الأولى تطول جدًا ، فيكون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة " . ثم تكون سائر الأيام كأيام الناس . وهذا الطول ليس على سبيل المجاز كما قد يظن البعض ، بل هو على حقيقته ، بدليل أن الصحابة ، رضوان الله عليهم ، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف نصلي في هذه الأيام ؟ فقال : " اقدروا له " .

وهذا ليس بعجيب إذا علمنا أن اليوم على الأرض ومدته أربع وعشرون ساعة يكون بسبب دوران الأرض

حول نفسها ، وهي في مدارها السنوي حول الشمس .

والله تبارك وتعالى الذي أقام الأرض على هذا القانون الكوني هو الذي يأمر الأرض فتتوقف عن الدوران أو تبطئ عن دورانها حتى يطول اليوم إلى سنة ، ثم يكون اليوم الثاني كالشهر ، واليوم الثالث كالأسبوع ، ثم تعود الأرض إلى حركتها العادية في سائر الأيام ، وهو سبحانه الذي يأمر الأرض بعكس حركتها في دورانها فتشرق الشمس من جهة المغرب ، وهذا يكون بعد الدجال ، بدليل انقطاع التوبة وعدم قبولها . قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ [الأنعام : ١٥٨]

وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل " . ثم قرأ الآية .

ويأتي المسيح الدجال بطامات كبرى وخوارق عجيبة ، فيدعي الربوبية ، ويكون معه مثل الجنة والنار ، فمن أطاعه أدخله جنته ، ومن عصاه أدخله ناره ، ويأمر الأرض فتخرج كنوزها وخيراتها ، فيوسع على من تبعه ، ويضيق على من عصاه ، فيا لها من فتنة عظيمة ، لا يصمد أمامها إلا من وفقه الله وهداه بالعلم النافع والعمل الصالح والصبر الجميل ، ولهذا حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم منه وذكر لنا صفته وعلمنا كيف ننجو من فتنته ، فقال : " إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور

فالدجال ناقص غير كامل بين بني البشر ، ورب العالمين له صفات الكمال والجمال والجلال ، ثم قال : " مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن

وذكر لنا قصة العبد الصالح الذي يخرج من المدينة إلى الدجال [illegible] . وإن الدجال يقطع جسده شقين ، ثم ينادي عليه فيقوم حيا . ومع هذا فإن هذا العبد

الصالح يقول له : « والله ما ازددت فيك إلا يقينًا ، أنت المسيح الكذاب الذي حذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقرأ عليه عشر آيات من سورة « الكهف » ، وأمرنا أن نفر منه ما استطعنا ، وأمرنا أن نتعوذ من فتنته في دبر كل صلاة كما نتعوذ من عذاب النار وعذاب القبر ، ثم ينزل بعد ذلك المسيح الحق عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله ، فيقتل المسيح الدجال ، ويحكم الناس بشريعة الإسلام ، ويجتمع المؤمنون حوله ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية .

أما عن قول السائل : ولماذا اختلف الصحابة في شأنه ؟

فإن الصحابة ، رضوان الله عليهم ، لم يختلفوا في شأن المسيح الدجال ، بل كلهم مجمعون على خروجه ، وعلى أنه علامة من علامات الساعة ، وعلى أن فتنته أشد فتنة على هذه الأمة ؛ لأن الصحابة لا يتصور أن يختلفوا فيما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمعوه هم بآذانهم ، وبلغوه لمن بعدهم ، ولكن الصحابة ، رضوان الله عليهم ، لعلمهم بقرب الساعة ظنوا أنه يخرج في عصرهم ، وهذا الظن لم ينفه النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كان يقول لهم : « إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه ، وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه » .

ولهذا ظن بعضهم أن أحد الدجاجلة المعروفين في عصرهم واسمه ابن صياد هو المسيح الدجال ، وكان بعضهم يكاد يجزم بذلك ، بل ويقسم عليه .

وهذا لا يعني أنهم اختلفوا في شأن الدجال كما ذكر السائل ، وإنما يعني أنهم أيقنوا خروجه ، وظنوا أنه رجل كان من الدجاجلة في عصرهم ، وقد مات هذا الرجل على الراجح أو فُقد فانحسم هذا الاختلاف في شأنه .

وأما قول السائل : ولماذا لم يرد ذكره في القرآن الكريم ؟

وقد أجابه الحافظ ابن كثير عن هذا السؤال في نهاية كتابه « البداية والنهاية » عند حديثه عن فتنة المسيح الدجال فقال : والجواب من وجوه :

أحدها : أنه قد أشير إلى ذكره مجملاً في قوله تعالى : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا

ينفع نفسًا إيمانها ﴾ الآية [الأنعام : ١٥٨] . وقد قال النبي صلى اللّه عليه وسلم : " ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها " [رواه الترمذي وقال : حسن صحيح] .

الثاني : أن عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال ، كما تقدم ، وقد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى : ﴿ وقولهم إنّا قتلنا المسيحَ عيسىَ ابن مريم رسول اللّهِ وما قتلوه وما صلبُوهُ ولكن شُبِّه لهم وإنَّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍّ منه ما لهم به من علمٍ إلا اتّباع الظّنِّ وما قتلوه يقينًا * بل رُفعهُ اللّهُ إليه وكان اللّهُ عزيزًا حكيمًا * وإن مِّنْ أهلِ الكتابِ إلا ليُؤمننَّ به قبل موته ويوم القيامةِ يكونُ عليهم شهيدًا ﴾ [النساء : ١٥٧-١٥٩] .

والضمير في قوله تعالى : ﴿ قبل موته ﴾ يعود على عيسى ، عليه السلام ، حين ينزل إلى الأرض فيتحقق الذين اختلفوا فيه ، فزعموا أنه إله من النصارى والذين طعنوا في نسبه واتهموا أمه من اليهود ، كَذِب ما كانوا يدعون .

وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، إشارة إلى ذكر المسيح الدجال شيخ الضلال ، وهو ضد مسيح الهدى ، ومن عادة العرب في أساليبهم أنهم يكتفون بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر .

الثالث : أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له ؛ حيث يدعي الإلهية ، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يُذكر ، ولكن انتصر الرسل ، عليهم السلام ، للرب ، عز وجل ، فكشفوا أمره وحذروا منه ، فإن قال قائل : فقد ورد ذكر فرعون في القرآن مع أنه ادعى الإلهية مثل الدجال ؟ فنقول : إن أمر فرعون قد انقضى وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل ، وقد دحره اللّه وأغرقه ، فنص عليه للاعتبار بنهايته ، أما الدجال فلم يظهر بعد ، فترك القرآن ذكره احتقارًا له وامتحانًا به . اهـ بتصرف . نهاية " البداية والنهاية " (ج١٠ ص١١٧،١١٨) .

هذا وباللّه الهداية والمعونة والتوفيق .

* * *

عقائد الصوفية

في ضوء الكتاب والسنة

الحلقة الثالثة

الشطح عند الصوفية

الحمد لله الذي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وألحقنا بهم برحمتك يا أكرم الأكرمين .. وبعد :

فقد انتهينا في الحلقة الثانية إلى نتيجة هامة ؛ وهي أن اسم التصوف والصوفي لم يُعرفا في الأمة الإسلامية خلال عصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وأن أول ظهور هذه المسميات كان بعد المائة الثانية للهجرة .

◻ الزهد في الإسلام ◻

نناقش في هذه الحلقة تطور الفكر الصوفي الذي كانت بدايته مواجهة إقبال الناس على الدنيا بعد زمن الفتوحات الكبرى ، وانشغال كثير من المسلمين عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فبدأ تيار ينادي بالزهد ، والزهد في الإسلام كما عَرِفَه الصحابة ؛ ليس في لبس المرقع من الثياب ، وإنما في إيثار الآخرة على الدنيا ، وعدم الوثوق بما في أيديهم اعتمادًا على ما عند الله . فهذا أبو بكر ، رضي الله عنه ، كان أغنى العرب عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه بذل ما يفنى رجاء ما يبقى ، وأمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه ، كان من أزهد الناس ، وقد شغله العدل بين الرعية وخوف المثول بين يدي الله عن متاع الدنيا ، وهذا الخليفة الثالث عثمان بن عفان يشتري بئر رومة ، ويجهز جيش العسرة ويشتري الأرض اللازمة لتوسعات المسجد النبوي وغير ذلك من إقدامه على البذل والعطاء ، وهذا علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، يسير على درب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويبذل نفسه التي هي أغلى من أموال الدنيا ، يوم بدر وأحد وخيبر وباقي الغزوات .

فزُهد السلف الصالح ليس رهبانية ابتدعوها ، ولا تحريم الحلال وإضاعة المال ، وهذه هي حقيقة الزهد ، وقد أثمر تيار الزهد ظهور المؤلفات التي تدعو إليه والتي كتبها علماء الحديث ، ومنهم : زائدة بن قدامة (توفي ١٦٠هـ) ، وعبد الله بن المبارك (توفي ١٨١هـ) ، ومحمد بن فضيل بن غزوان (توفي ١٩٥هـ) ، ووكيع بن الجراح شيخ الشافعي (توفي ١٩٧هـ) ، أسد بن موسى المعروف بأسد السنة (توفي ٢١٢هـ) ، وسعيد بن منصور (توفي ٢٢٧هـ) ، ثم أحمد بن حنبل (توفي ٢٤١هـ) وكتاباه " الزهد " و" الورع " .

◻ من الزهد إلى الشطح ◻

ويلخص ابن الجوزي رأيه في كتابه " تلبيس إبليس " عن بداية ظهور التصوف فيقول : (إن التصوف بدا أولاً في شكل زهد وعبادة ، وكان عند الصدر الأول منهم في شكل مجاهدة النفس للاستقامة ، وتقويمًا لها وحملها على الصراط المستقيم حتى يصير تهذيبها خلقًا جبلّية) .

ثم ظهر قوم من الصوفية تكلموا في الجوع والفقر والوساوس والخطرات ، مثل : الحارث المحاسبي (توفي ٢٤٣هـ) وكتبه " الوصايا " و" الرعاية " ، و" التوهم " ، ثم أبي طالبِ المكي

وكتبه عن علم القلوب وقوت القلوب ، وظهرت جماعات يسمون أنفسهم الفقراء ، وثانية تسمى البكائين ، وثالثة تدعي العشق الإلهي ، وأشهرهم رابعة العدوية ، كما بدأ الزهد الصوفي يأخذ شكل لبس الخرقة والتجرد والمجاهدات ، وفي نفس الوقت بدأت ظاهرة الشطح الصوفي ، والتي تأثرت بدخول أفكار وفلسفات فارسية وهندية ويونانية مع دخول الإسلام إلى هذه البقاع ، التي يرون أنها نتيجة مرور الصوفي بخمس مراحل هي :

● **أولا : الوجد** : ويُعرفه الصوفية بقولهم : (والوجد ؛ هو ما صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة ، أو كشف حالة بين العبد وبين الله ، عز وجل ، قالوا : وهو سمع القلوب وأبصارها ، فمن ضعف وجده تواجد ، والتواجد ؛ ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره ، ومن قوي تمكن فسكن) .

قال النووي : الوجد ؛ لهب ينشأ في الأسرار ويسنح عن الشوق ، فتضطرب الجوارح طربًا أو حزنًا عند ذلك الوارد .

وقال بعضهم : الوجد ؛ بشارات الحق بالترقي إلى مقامات مشاهداته(١) .

وهذا أبو النصر السراج الطوسي في كتابه الشهير " اللُّمَع " - والطوسي يصفه فضيلة الدكتور / عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر الأسبق ، أنه أعظم مؤرخ صوفي في تاريخنا قديمه وحديثه - يقول : (إن الوجد ؛ مكاشفات من الحق ، ألا ترى أن احدهم يكون ساكنًا فيتحرك ، ويظهر منه الزفير والشهيق ؟ وقد يكون من هو أقوى منه ساكنا في وجده لا يظهر منه شيء من ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ الذين إذا ذُكِر الله وجلت قلوبهم ﴾ [الحج : ٣٥] ، وأول الوجد رفع الحجاب ، ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة الغيب ، ومحادثة السر ، وإيناس المفقود ، وهو فناؤك أنت من حيث أنت [illegible]

وقال أبو سعيد (الخراز) رحمه الله : الوجد ؛ أول درجات الخصوص ، وهو ميراث التصديق بالغيب ، فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها ، زال عنهم كل شك وريب(٢) .

ويُقال : إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند ذكر الموت ، وفرّق بعض المشايخ بين الوجد والتواجد بقولهم : (التواجد من الوجد بمنزلة التباكي من البكاء) .

ويروى عن سيد الطائفة الجنيد قوله : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وفضل العلم أتم من فضل (أي الزيادة) الوجد(٣) .

ويقول القشيري : (الوجد يصادف قلبك ويَردُ عليك بلا تعمُّد وتكلف ، ولهذا قال المشايخ : الوجد المصادفة ، والمواجيد ثمرات الأوراد ، فكل من ازدادت وظائفه - أي ؛ نوافله - ازدادت من الله تعالى لطائفه ، ويَنقل عن شيخه أبي علي الدقاق قوله : الواردات من حيث الأوراد ، فمن لا ورد له بظاهره ، لا وارد له في سرائره ، وقال عمرو بن عثمان المكي : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ؛ لأنه سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين(٤) .

وحكي عن سهل بن عبد الله التستري انه قال : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل ، ومن أهمية الوجد في الفكر الصوفي ألف فيه أحمد بن بشر بن زياد الأعرابي كتابًا سماه " الوجد " ، وقد لخصه الطوسي في كتابه " اللُّمَع " .

● **ثانيًا : الغلبة** : وهي حال يمر بها الصوفي إذا زاد عليه الوجد حتى يغلبه ، ويعرفونه بقولهم : والغلبة ؛ حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب ، ولا مراعاة الأدب ، ويكون مأخوذًا عن تميز ما يستقبله ، فربما خرج إلى بعض ما ينكر عليه من لم يعرف حاله ، ويرجع على نفسه صاحبه - أي ؛ صاحب الغلبة - إذا سكنت غلبات ما يجده ، ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوال(٥) .

● **ثالثًا : السُّكر** : فإذا ازدادت غلبة الوجد على الصوفي وصل إلى حالة السكر ، والسكر ؛ هو أن يغيب الصوفي عن تميز الأشياء ، وقد أطلق القشيري على السكر غيبة ، حيث يقول : فالغيبة ؛

غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب(٦) .

وكتب يحيى بن معاذ إلى أبي اليزيد يقول : سكرت من كثرة ما شربت من كاس محبته ، فكتب أبو اليزيد في جوابه : سكرت وما شربت من الدُرر ، وغيري قد شرب بحور السماوات والأرض وما روي بعد ، ولسانه مطروح من العطش ويقول : هل من مزيد(٧) .

وتعبير السكر يذكرنا بمن يشرب الخمر حتى يغيب عن وعيه وإدراكه ، فالصوفي إذا غلبه الوجد غاب عن نفسه ، وربما نطق بما يؤاخذ عليه ، وهو ما يسمى بالشطح .

● **رابعًا : الشطح :** أن يتحدث الصوفي في حال سكره وغلبة الوجد عليه بقول ينكر عليه ، ويُعَرّف الصوفية الشطح بقولهم : هو عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته .

وقالوا : الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب ، وهي من زلات المحققين ، فإنه دعوى حق يفصح بها العارف ، لكن من غير إذن إلهي(٨) .

بينما يعرف صوفي معاصر الشطح بقوله : هو محاولة لوصف ما لا يوصف ، والكلام في الشطح على السكر فلا يؤاخذ صاحبه ، والشطح تعبير عن حالة اختلاط لا يميز فيها صاحب الطريقة الحق من الخلق ، ولا الباطن من الظاهر ، ولا المسمى من حقيقة الأسماء ، فالحق قريب إلى درجة أنه لم يعد ثمة ما يفصله عنه ، وهو حقيقة كل سائر ومتحرك(٩) .

نلاحظ التدرج في تعريف الصوفية لمراحل الشطح ، فهو يبدأ بالوجد ، ثم الغلبة ، فالسكر ، وينتهي بالشطح الذي يصدر عن أهل المعرفة ، وأن قولهم حق في ذاته ، والخطأ فقط في الحديث عنه ونقلِه للناس ، وهو من زلات المحققين ، حيث أظهروه بدون إذن إلهي ، وأن الشطح حالة اختلاط لا يميز فيها الصوفي بين الحق والخلق .

● **خامسًا : الفناء :** جمع اللّه ، تبارك وتعالى ، بين لفظي الفناء والبقاء في الآية الكريمة من سورة " الرحمن " : ﴿ كل من عليها فان ۞ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٦، ٢٧] . ودلالة الآية محكمة واضحة ، لا يختلف الناس حولها ، فالله ، جل جلاله ، قضى من الأزل أن لمخلوقاته ابتداء ، ولآجالها انتهاء ، ولا بد من ميلاد لجميع الكائنات حتى الكواكب والأجرام السماوية ، ثم لا بد من موت جميع المخلوقات ، ومنهم الملائكة المقربون حتى ملك الموت الذي وكله الله في قبض الأرواح ، يجري عليه الفناء ، والله وحده هو الباقي قبل الأزل ، وقبل دوران الأفلاك والأجرام ، وبدء السنين والأيام ، وهو سبحانه باق بعد الأبد وبعد فناء الأكوان .

ومن يؤمن بعلو الله على خلقه ، ويميز بين صفات الخالق وصفات المخلوق يدرك تمامًا أن البقاء نعت ملازم للربوبية ، والفناء نعت ملازم لجميع المخلوقات ومنهم البشر ، ولكن الصوفية اصطلحوا على معان جديدة للبقاء والفناء تختلف تمامًا عن تفسير السلف للآيات القرآنية ، وإذا أردنا أن نعرف كيف ومتى بدأت هذه المفاهيم في الإسلام ؟ وكيف زحفت لتحتل الصدارة في الفكر الصوفي ؟ فالإجابة ، أن أول من تكلم في علم الفناء والبقاء هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، توفي عام ٢٧٧هـ(١٠) ، الذي يصفه الصوفية بقولهم : وهو سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء(١١) .

والفناء الذي يقصده أبو سعيد الخراز هو : أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق به فناء ذكر الأشياء عن قلبه ، وانفراده باللّه وحده(١٢) ، ومفاد قوله : إن التوحيد في الفهم الصوفي أصبح لغزًا لا يعرفه عامة المسلمين ؛ لأنهم لم يفنوا عن أنفسهم ، أما أهل الخصوص الواصلون إلى مقام الفناء فهم الموحدون الذين انفردوا بالله وحده .

ويقول السهروردي : أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة ، فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات ، وهذا تقتضيه التوبة النصوح ، وبعضها إشارة إلى زوال الرغبة والحرص والأمل .

وهذا تقتضيه تزكية النفس ، وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق ، وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ، ولكن الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق ، سبحانه وتعالى ، على العبد ، فيغلب كون الحق سبحانه على كون العبد ، وهو ينقسم إلى :

- فناء ظاهر .
- وفناء باطن .

■ **فالفناء الظاهر** : هو أن يتجلى الحق ، سبحانه وتعالى ، بطريق الأفعال ، ويسلب عن العبد اختياره وإرادته ، فلا يرى لنفسه ولا لغيره ، إلا بالحق سبحانه ، ثم يأخذ في المعاملة مع الله ، سبحانه وتعالى ، بحسبه ، حتى سمعت أن بعض من أُقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أيامًا لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الحق تعالى فيه ، ويقيض الله سبحانه له من يُطعمه ويسقيه ، كيف شاء وأحب ، وهذا لعَمري فناء ؛ لأنه فني عن نفسه وعن الغير ، نظرًا إلى فعل الله بفناء فعل غير الله .

■ **والفناء الباطن** : أن يُكَاشف تارة بالصفات ، وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات ، فيستولي على باطنه أمر الحق تعالى ، حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس(١٣) ، ويُعَرِّف الصوفية الفناء بقولهم :

* **الفناء** : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات ، فكلما ارتفعت صفة (بشرية) قامت (صفة) إلهية مقامها ، فيكون الحق سمعه وبصره كما نطق به الحديث ، وتعليقنا على هذا التعريف أن الفناء قد تحول هنا إلى نوع من حلول الصفات الإلهية محل صفات العبد البشرية .

* **الفناء** : سقوط الأوصاف الذميمة ، والبقاء عكسه ، وهو ثبوت النعوت المحمودة .

* **الفناء** : هو الغيبة عن الأشياء ، كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل فجعله دكًا وخر موسى صعقًا .

ويُعرف أبو القاسم القشيري في رسالته الفناء بقوله :

* **الفناء** : من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينًا ولا أثرًا ، ولا رسمًا ولا طللًا(١٤) .

* **الفناء** : أن لا ترى شيئًا إلا الله ، ولا تعلم إلا الله ، وتكون ناسيًا لنفسك ولكل الأشياء سوى الله ، فعند ذلك يتراءى لك أنه الرب ، إذ لا ترى ولا تعلم شيئًا إلا هو ، فتعتقد أنه لا شيء إلا هو ، فتظن أنك هو ، فتقول : أنا الحق ، وتقول : ليس في الدار إلا الله ، وليس في الوجود إلا الله(١٥) .

بينما يُعرف محمد غازي عرابي الفناء بقوله :

* **الفناء** : هو الغياب في الأوقيانوس الأعظم ، وقال تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى ﴾ [الضحى : ٦] . فاليُتم ؛ موت كل علاقة للعارف بمن حوله ، وانقطاع حباله من الزمان والمكان والأيس والليس ، أما الإيواء ؛ فعودة إلى نجدة الفاني الذي غاص في بحر الوجود(١٦) .

ومن الغريب أن لا يستدل الصوفية على أقوالهم بآيات من كتاب الله ، عز وجل ، أو أحاديث شريفة من المصادر الصحاح ، وإذا استشهدوا بآية فإنها غالبًا ما يقع تحت باب اللطائف التي تخرج الآية عن تفسير السلف الصالح ، ودائمًا ما يكون دليلهم وحجتهم أحوال الحلاج وأمثاله - التي سنناقش دورها في انحراف الفكر الصوفي وحيوده عن حقائق الدين في الحلقة التالية بإذن الله تعالى - ثم ألا يجد محمد غازي في دين الإسلام ، أو حتى في مفردات اللغة العربية ، كلمة تعبر عن مفهوم الفناء حتى يطلع علينا بالأوقيانوس الأعظم الذي لا يعرفه أحد من المسلمين !! إن غموض الألفاظ مقصود في هذا المقام ، فلو صرح الرجل بعقيدته لأفشى أسرار القوم ، ولاتضح أنه يرمز إلى فناء العبد في الله ، وهو يعرف أن ما يعنيه ليس إلا الاتحاد مع الله ، ولما كانت الضرورات تبيح المحظورات ، فهو مضطر للتعامل مع الأوقيانوس حتى ولو كان الأعظم !! ولا يكمل

الحديث عن الشطح دون الإشارة إلى فرسانه الأوائل ؛ وأشهرهم البسطامي والحلاج .

◘ الشطح والبسطامي ◘

البسطامي (١٧) هو : أبو اليزيد طيفور بن عيسى بن سروشان ، كان جده مجوسيًا فأسلم ، ويترجم له السلمي في " طبقات الصوفية " ، فيقول : كان من الزهاد والعباد وأرباب الأحوال ، وهو من أهل بسطام (توفي ٢٦١هـ) .

وأبو اليزيد البسطامي من الشخصيات التي اعتنقتْ مبدأ العشق الإلهي ، الذي بدأ ظهوره في القرن الثالث ، وانتهى بمذهبي الاتحاد ووحدة الأديان على يدي الحلاج ، فسار البسطامي على طريق الزهد والتقشف الهنديين ، وانتهى بقولته الشهيرة : (أنا هو ، وهو أنا) .

ومن أقواله : (غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء ؛ توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فلما انتهيت - أي ؛ بعد وصوله - رأيت ذكره سبق ذكري ، ومعرفته تقدمت معرفتي ، ومحبته أقدم من محبتي ، وطلبه لي أولاً حتى طلبته)(١٨) .

ويقدم البسطامي أمثلة للشطح والجرأة في القول كقوله : عرفت الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله ، وسُمِع البسطامي يومًا يقول : (يا رب أفهمني عنك ، فإني لا أفهم عنك إلا بك)(١٩) .

ويقول أيضًا : (لم أزل أجول في ميدان التوحيد ، حتى خرجت إلى دار التفريد ، ثم لم أزل أجول في دار التفريد ، حتى خرجت إلى الديمومية ، فشربت بكأسه شربة ، لا أظمأن من ذكره أبدًا)(٢٠) .

وسُئِل أبو اليزيد البسطامي يومًا : ما علامة العارف ؟ فقال : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ الآية [النمل : ٣٤] ، وقال : عجبت لمن عرف الله كيف يعبده ؟ وقيل له : إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة ، وتجاوز البسطامي أقصى درجات الشطح وبلغ اختلاطه منتهاه ، حتى إنه لم يفرق بين الحق ، سبحانه وتعالى ، وبين نفسه ، فتراه يقول : غبت عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتي عنه ذكري إياه ، فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا .

◘ نتائج ظاهرة الشطح ◘

أدت هذه الأقوال إلى ظهور أحوال ومقامات صوفية ، عبَّروا عنها بمصطلحات خاصة بهم لا يتسع المجال لبحثها ، مثل ؛ الغيبة والحضور ، والجمع والفرق ، وجمع الجمع ، وفرق الفرق ، وعين الجمع ، ثم راح الصوفية يحثون أتباعهم على التواجد ، يقولون لهم : إن التواجد من الوجد بمنزلة التباكي من البكاء ، وأن السماع طريق لحصول التواجد ، حتى إن الطوسي أفرد للسماع جزءًا من كتابه " اللُّمع " أسماه كتاب السماع ، وقد انقسمت الصوفية - فيما يخص الشطح - إلى ثلاث فرق :

١- الفرقة الأولى : انضمت إلى علماء أهل السنة المعاصرين لهم ، في إنكار هذه الدعاوى وتلك الشطحات ، ومنهم سيد الطائفة الجنيد ، كما تسمية الصوفية ، ومنهم أبو سليمان الداراني (توفي ٢١٥هـ) ، الذي يقول : ربما وقعت النكتة من كلام القوم في قلبي فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة ، لأن الله ، عز وجل ، ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها لي فيما سوى ذلك .

٢- الفرقة الثانية : حاولت شرح هذه الشطحات ، وتأويلها لإيجاد معاني شرعية لها ، وقد جانبهم التوفيق في أغلب الحالات .

٣- الفرقة الثالثة : اعتذرت عن أهل الشطح ، ورأت في أقوالهم أحوال سكر ومذاقات للعارفين ، هي حق في ذاتها ، ولكنها قيلت بدون إذن إلهي ، فأدت إلى هذا اللبس وذاك الغموض ، ولا لوم على قائليها لغلبة الحال عليهم .

وتعليقنا أن هذه الآراء وأمثالها أعطت العذر وقدمت المبرر لمن أراد الخروج على الشريعة ، وأدت إلى النتائج التالية :

١- تعطيل الصوفية لاستخدام ميزان الشريعة على هذه الأقوال ، وحجتهم أنهم كيف ينكرون على من وصل إلى مقامات الوجد والسكر ، وهذه أحوال أهل المعرفة والتحقيق !

٢- ظهور أقوال يتجرأ أصحابها بنسبتها إلى الله ، عز وجل ، ويزعمون الحديث نيابة عنه سبحانه ، وبذلك أصبح العارفون بالله عندهم يتلقون مباشرة الإلهام والفتوحات عن الله ، عز وجل .

٣- إن الشطح في حد ذاته لم يكن نهاية المطاف ، وإنما كان مرحلة أدّت بشكل تلقائي إلى مرحلة القول بالفناء والبقاء .

٤- يمزج الفناء بين صفات الخالق والمخلوق ، ويسمح بحلول صفات الرب محل صفات العبد ، إن القول بالفناء هو الذي مهد بقوة للقول بوحدة الوجود ، التي ليس لها غاية سوى هدم القول بوجود خالق بائن عن خلقه ، وهذا ما يقول به الحلاج ، وابن عربي ، وابن سبعين ، والجيلي - كما سنبين في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى - فإذا تناولنا أوراد الطرق الصوفية المعاصرة ووجدنا أفكار الفلاسفة ودعاة الوحدة ظاهرة جلية ، بل إنها تعد عند المشايخ سر أسرار الطرق ، دَعَونا المجلس الصوفي الأعلى للحوار ، بل وتطبيق لائحة المجلس التي ترفض أي طريق يعتقد أتباعه بوحدة الوجود ، وطالبناهم بتنقية أوراد القوم من عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، والانتصار لعقيدة التوحيد .

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .

وكتبه

أ. محمود المراكبي

---

(١) « التعرف بمذهب أهل التصوف » لأبي بكر محمد الكلاباذي (١٣٤) .

(٢) « اللمع » لأبي نصر السراج الطوسي (٣٧٦) .

(٣) « اللمع » لأبي نصر السراج الطوسي (٣٨١) .

(٤) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم هوزان القشيري (٥٨) .

(٥) « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي (١٣٧) .

(٦) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم هوزان القشيري (٦٣) .

(٧) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٠) ، أبو الزيد البسطامي (٤٥٨) .

(٨) « معجم مصطلحات الصوفية » د . عبد المنعم حفني (١٤٠) ، والجرجاني في « التعريفات » بند شطح

(٩) « النصوص في مصطلحات الصوفية » لمحمد غازي عرابي (١٧٥) .

(١٠) « الطبقات الكبرى » لعبد الوهاب الشعراني (١/٧٨) .

(١١) أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٦) ترجمة رقم (٥٦٩) .

(١٢) « حلية الأولياء » لأبي نعيم (١٠/٢٤٦) ترجمة رقم (٥٦٩) .

(١٣) نقلاً عن نشر المحاسن الغالية المعروف بكفاية المعتقد ونكاية المنتقد لليافعي (٢٠٩)

(١٤) نقلاً عن نشر المحاسن الغالية المعروفة بكفاية المعتقد ونكاية المنتقد لليافعي (٢٠٩)

(١٥) « معجم مصطلحات الصوفية » د . عبد المنعم الحفني (٢٠٨) .

(١٦) « النصوص في مصطلحات الصوفية » لمحمد غازي عرابي (٢٥٩) .

(١٧) « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي (٦٧) .

(١٨) « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي (٧٢) .

(١٩) « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي (٧٢) .

وقفات مع القصة في كتاب الله

دعوة إبراهيم عليه السلام أباه وقومه [٢]

فضيلة الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي ألهمَ عباده المرسلين الحكمة وفصل الخطاب ، وجعل في أقوالهم وأعمالهم ذكرى وأسوة لأولى الألباب ، وجعل محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، وأمّته أولى الناس بإبراهيم ، عليه السلام ، القانت لربّه الأواب . وبعد ..

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم ۞ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبُدُون ۞ قالوا نعبدُ أصنامًا فنظلُّ لها عاكِفين ۞ قال هل يسمعُونكم إذ تدعُون ۞ أو ينفعونكم أو يضرُّون ۞ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ۞ قال أفرأيتم ما كنتم تعبُدُون ۞ أنتم وآباؤكم الأقدمون ۞ فإنهم عدوٌّ لي إلاَّ رب العالمين ۞ الذي خلقني فهو يهدين ۞ والذي هو يطعمني ويسقين ۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي يُميتني ثم يُحيين ۞ والذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ [الشعراء : ٦٩-٨٢] .

تحدثنا في مقال سابق بما أفاء الله به من حديث عن أدب دعوة إبراهيم ، عليه السلام ، لأبيه ، وتلك كانت دعوة خاصة بدأ إبراهيم بها أباه ، وهذه دعوة عامة انتقل بها إبراهيم ، عليه السلام ، إلى المجتمع الذي يشمل أباه وقومه ، والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله وحبيبه محمد ، صلى الله عليه وسلم : اتل عليهم يا محمد خبر إبراهيم ، عليه السلام ، وهو يدعو قومه .

ولماذا أمر الله نبيَّه محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، أن يتلو علينا هذه القصة وغيرها من القصص ؟ لنتعلم دروسًا وعبرًا ، ونستلهم منها حكمة وأدبًا : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثًا يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [يوسف : ١١١] ، وفي هذه الآيات ما يلي :

١- يسأل إبراهيم ، عليه السلام ، قومه مستنكرًا عليهم متعجبًا من حالهم ، في اتخاذهم أصنامًا لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ، يعكفون على عبادتها .

٢- وتأتي الإجابة أكثر عجبًا فهم قد فعلوا ذلك ؛ لأنهم وجدوا الآباء والأجداد يفعلون ذلك .

وهذا هو التقليد الأعمى ، والحجة الواهية التي تعلق بها كل من انحرف عن منهج الرسل ، أو لو كان الآباء لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ؟ أين

عقولكم أيها القوم وقد جاءكم الهدى ورسول مبين ؟!

٣- يعلن إبراهيم ، عليه السلام ، براءته من هذه الآلهة المزعومة ، وعداوته لها ، بل ويعلن ضجره وتأففه من صنيع قومه ومن آلهتهم : ﴿ أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللّه أفلا تعقلون ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

٤- وهذا تدرج حكيم في الدعوة ، فقد بدأ معهم متسائلاً موجهًا ناصحًا ، ثم بيّن لهم عجز آلهتهم وضعفها فضلاً عن إمكانية نفعها وضرِّها ، ولكن القوم أصرُّوا على اتباع أهوائهم وتقليد آبائهم فلم يكن هناك بُد من تنبيههم إلى ضلالهم وضلال آبائهم من قبلهم : ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ [الأنبياء : ٥٤] ، ثم أعلن براءته مما يعبدون كما تقدم ، ثم أعلن ضجره ، ثم هدّدهم بعد ذلك تهديدًا واضحًا صريحًا : ﴿ وتاللّه لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ [الأنبياء : ٥٧] .

ولم يقف إبراهيم ، عليه السلام ، عند حدِّ التهديد والوعيد ، بل نفّذ فعلاً ما هدّد به وحطّم آلهتهم بفأسه ، وهذا مشهد يدل على البطولة النادرة وقوة البأس ورباطة الجأش لا يقدر عليه إلا أولي العزم من الرسل ، حيث يواجه رجل واحد أعزل من كل سلاح إلا سلاح الإيمان ، ويواجه قومه بكل ما يملكون من سلطان الملك والكثرة ، ويتحدّاهم في أعز ما يملكون ، في آلهتهم المزعومة ، ويأتي عليها واحدًا واحدًا ، فيجعلها جذاذًا ، وقد سبق الإشارة إلى هذه القصة بما يغني عن إعادتها هنا .

٥- بعد أن بيّن إبراهيم ، عليه السلام ، فساد عقيدة القوم ، وضلال عبادتهم ومعبوداتهم ، أخذ يوضح لهم حقائق التوحيد الخالص ، ويبين لهم صفات ربِّه الذي يعبده - وهو الحقيق بالعبادة سبحانه - لأنه سبحانه الذي خلق وهدى وهو الذي أطعم وسقى ، وهو الذي أمرض وشفى ، وهو الذي أمات وأحيا ، وهو سبحانه الذي يرجى لمغفرة الذنوب .

٦- ومن باب الأدب في الخطاب مع اللّه أسند إبراهيم ، عليه السلام ، المرض لنفسه والشفاء إلى اللّه تعالى فقال : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ [الشعراء : ٨٠] ، والمرض والشفاء بإذن اللّه .

٧- هذا هو منهج إمام الأنبياء في دعوته يجلّي حقائق التوحيد أمام قومه ويقيم بها الحجة عليهم ، ويُذكّرهم بحقائق الربوبية التي لا يستطيعون إنكارها ، الخلق ، والملك ، والتدبير ، وهذه الثلاثة من خصائص الربوبية المطلقة ، فالذي يخلق العباد ويملك نواصي أمورهم ويدبر أحوالهم ، بل وأحوال كل من السماوات والأرض ؛ فذلك هو الإله المعبود بحق ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ومن اتخذ إلهًا غيره فهو في ضلال مبين

وهذا منهج الأنبياء وأتباع الأنبياء في دعوتهم إلى اللّه تعالى ، وكل دعوة تحيد عن هذا النهج لا يكتب لها النجاح .

نسأل اللّه أن يلهمنا رشدنا ، وأن يقينا شر أنفسنا ، وأن يهدينا سبلنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

كتبه / عبد الرازق السيد عيد

حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار في الفقه الإسلامي

بقلم د / علي السالوس

الربا في الفقه الإسلامي

في الكتاب العزيز جاء ذكر الربا في أربع من سور القرآن الكريم، إحداها مكية وهي سورة ((الروم))، قال تعالى: ﴿ وما آتيتم من ربًا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضعِفون ﴾ [الروم : ٣٩].

ومن المعلوم أن الربا لم يحرم إلا في العهد المدني، أي أن هذه الآية الكريمة المكية جاءت من باب التدرج في التشريع كما حدث مثلاً في تحريم الخمر، فبينت أن الربا غير مقبول عند الله تعالى، وبذلك هيأت الأذهان والنفوس لتلقي حكم التحريم وتنفيذه.

ثم نزل التحريم في قوله تعالى من سورة " آل عمران ": ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران : ١٣٠].

وجاءت سورة " البقرة " بختام هذا التشريع، فبينت سوء المنقلب لمن يتعامل بالربا واعتبرته عدوًا لله، ولرسوله صلى الله عليه وسلم مستحقًا لحربهما، وأي خسارة بعد هذه الخسارة؟ فتدبر قوله تعالى: ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۞ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ۞ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ۞ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٥-٢٧٩].

● وفي السنة الشريفة :

وجاءت السنة النبوية الشريفة تبين أن الربا من الكبائر ، ومن الجرائم الموبقات المهلكات ، وأن اللعنة تلحق من يأكله ، ومن يطعمه غيره ، ومن كتبه ، ومن يشهد عليه ، وانظر مثلاً في كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري تجد ثلاثين حديثًا في الترهيب من الربا .

منها ما رواه الشيخان وغيرهما أن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » . قالوا : يا رسول اللَّه ، وما هُنّ ؟ قال : « الشرك باللَّه ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وما رواه مسلم وغيره عن جابر بن عبد اللَّه ، رضي اللَّه عنه ، قال : لعن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : « هم سواء » .

وما رواه البخاري بسنده عن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال : « رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم ، فيه رجل قائم ، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة . فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بالحجر في فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : الذي رأيته في النهر : آكل الربا » .

ولا يسع أي مؤمن يسمع كلام اللَّه تعالى ، وكلام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إلا أن يجتنب الربا أو ما فيه شبهة ربا .

لذا وجب أن نعرف ما يتعلق بالربا ، وعلى الأخص في زماننا هذا وقد عمت البلوى واستشرى الفساد في الأرض ، وأصبح كثير من الناس ينطبق عليهم قول الرسول صلى اللَّه عليه وسلم : « ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن الحلال أم من حرام » . [رواه البخاري وأحمد وغيرهما] .

وقوله صلى اللَّه عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان يأكلون الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » . وفي رواية : « من بخاره » . [أخرجه أحمد والنسائي] .

مفهوم الربا المحرم

● الربا في القرآن الكريم :

تحدث القرآن الكريم عن الربا في أربع من سوره ، وكان الختام هو آيات الربا في سورة « البقرة » : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ إلى ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلِمون ولا تُظلَمون ﴾ الآيات [البقرة : ٢٧٥-٢٧٩] .

وتفسير آيات الربا في السور الأربع يطول ذكره ، والرجوع إليه - بحمد اللَّه تعالى - مُيسَّر في كثير من الكتب ، والذي نريد أن نقف عنده هنا هو معنى الربا الذي تحدث عنه القرآن الكريم ، وكان شائعًا في الجاهلية .

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا .... ﴾ .

يروي الطبري عن مجاهد قال في الربا الذي نهى الله عنه :

كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول : لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه .

وعن قتادة : أن ربا أهل الجاهلية: يبيع الرجل إلى أجل مسمى ، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه .

وعند قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ ، روى الطبري عن السدي قال : نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ، ورجل من بني المغيرة ، كانا شريكين في الجاهلية ، يسلفان في الربا إلى أناس من ثقيف .

وعن الضحاك قال : كان ربًا يتبايعون به في الجاهلية ، فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم . (راجع الجزء السادس من " تفسير الطبري " تحقيق محمود محمد شاكر (ص٧) وما بعدها) .

وقال الجصاص في " أحكام القرآن " (٤٦٥/١) .

الربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل ، بزيادة على مقدار ما استقرض ؛ على ما يتراضون به .

وقال في موضع آخر (٦٧/١) :

معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضًا مؤجلاً بزيادة مشروطة ، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل ، فأبطله الله تعالى وحرمه .

وقال الفخر الرازي في " تفسيره " (٩٢/٤) :

ربا النسيئة هو الأمر الذي كان مشهورًا متعارفًا في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معينًا ، ويكون رأس المال باقيًا ، ثم إذا حل الدين طالبوا المديون برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل ، فهذا هو الربا الذي كانوا في الجاهلية يتعاملون به .

وقال ابن حجر الهيثمي في كتابه : " الزواجر عن اقتراف الكبائر " (٢٢٢/١) : ربا النسيئة هو الذي كان مشهورًا في الجاهلية ؛ لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل على أن يأخذ منه كل شهر قدرًا معينًا ورأس المال باق بحاله ، فإذا حل طالبه برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زاد في الحق والأجل .

وتسمية هذا نسيئة ، يصدق عليه ربا الفضل أيضًا ؛ لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات .

مما سبق نرى أن ربا الجاهلية كان من ربا الديون ، وهو ربا النسيئة ، والدين قد يكون ناشئًا عن بيع آجل ، فإذا حل الأجل ولم يدفع المشتري الثمن التزم بدفع زيادة عليه مقابل الزيادة في الأجل ، وقد يكون الدين قرضًا مؤجلا بزيادة مشروطة مقابل الأجل ، ويتفق على هذه الزيادة الربوية من البداية بالتراضي بما يراه كل منهما مصلحة لنفسه .

وقد يدفع هذا الربا مقسطًا أقساطًا شهرية ، ويظل رأس المال باقيًا ، وإذا حل موعد القرض طبقت القاعدة الجاهلية المعروفة : إما أن تقضي ، وإما أن تربي ، فإما أن يؤدي المقترض ، وإما أن يزاد في الدين والأجل .

ويظهر الاستغلال والحاجة عند عجز المدين عن أداء الدين ، وتطبيق القاعدة الجاهلية ، ولكن لا يظهر شيء من هذا إذا لم يعجز المدين وأدى الدين والزيادة الربوية المتفق عليها ، وقد يربح المقترض في تجارته برأس مال المقرض أضعاف الزيادة الربوية ، ومع هذا يظل التحريم قائمًا ، ويأذن جميع آكلي الربا بحرب من الله ورسوله .

فربا الجاهلية إذن لا يظهر فيه الاستغلال والحاجة إلا في صورة من صوره ، وهو مثل الفوائد المركبة التي تأخذها جميع البنوك الربوية في عصرنا ، ومثل ما يفعله كثير من التجار في البيع بالتقسيط ، حيث يأخذون زيادة من المشتري عند تأجيل دفع الأقساط عن موعدها المحدد .

وقوله تعالى : ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون ﴾ [البقرة : ٢٧٩] يبين أن أي زيادة على رأس المال مهما قلت أو كثرت تعتبر من الربا المحرم ، وهذا الحكم خاص بالمدين الموسر ، أما المدين المعسر فيبين حكمه قوله تعالى : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

● الربا في السنة المطهرة .

جاءت السنة المطهرة لتؤكد تحريم ربا الديون الذين حرمه القرآن الكريم ، وتبين أنه من أكبر الكبائر ، ومن السبع الموبقات المهلكات ، وأن اللعنة تنزل على كل من يشترك في ارتكابه ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : « هم سواء » . وفي مسلم أيضًا : « فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ والمعطي سواء » .

وفقه الحديث الشريف يبين أن أي زيادة ربا محرم ، ويستوي في الإثم واللعنة المقرض والمقترض ، ولو كان التحريم مرتبطًا بالاستغلال وقصم الظهر فقط كما يقول المجترئون على الفتيا ، لكانت اللعنة لا تلحق المقترض الفقير ، والإثم يرتفع عن المضطر المحتاج .

كما كان للسنة دور آخر حيث بينت تحريم ربا البيوع ، وهو نوعان : ربا الفضل ؛ أي الزيادة ، وربا النسيئة ؛ أي التأجيل والتأخير .

ويجمعهما حديث الأصناف الستة المشهور : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبُرُّ بالبُرْ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، يدًا بيد » .

فبيع الذهب بالذهب ، أو الفضة بالفضة .. إلخ ، يشترط فيه التقابض في المجلس ، وعدم الزيادة . فإن كانت هناك زيادة مع القبض فهذا ربا الفضل ، وإن لم يتم القبض فهو ربا نسيئة ، سواء اشتمل على ربا الفضل أم لم يكن فيه زيادة .

أما عند بيع الذهب بالفضة فلا يشترط التساوي ، ولكن لا بد من التقابض كما جاء فيما رواه الشيخان : « الذهب بالورق - أي العملة الفضية - ربًا ؛ إلا هاءَ وهاء » ، أي خذ وهات ، فإن لم يتم القبض فهو ربا نسيئة .

● الإجماع :

اختلف الفقهاء فيما يلحق بالأصناف الستة ، ويأخذ حكمها في حالة البيع ، ويعد من الأموال الربوية . فإذا لم تتوافر الشروط المذكورة آنفا كان ربا الفضل أو النسيئة ، وقد أفتت كل المجامع الفقهية بأن النقود الورقية لها ما للذهب والفضة من الأحكام .

والاختلاف هنا إنما هو في حالة البيع فقط ، أما في القرض فلا خلاف في تحريم أي زيادة مشروطة في العقد ، ولا يقتصر هذا على الأصناف الستة وما يحلق بها ، وإنما هو في كل شيء .

قال الإمام مالك في " المدونة " (٤/٢٥) : كل شيء أعطيته إلى أجل فرُد إليك مثله وزيادة فهو ربا .

وقال ابن رشد الجد في " مقدماته " (ص٥٠٧) : وأما الربا في النسيئة فيكون في الصنف الواحد وفي الصنفين . أما في الصنف الواحد فهو في كل شيء من جميع الأشياء ، لا يجوز واحد باثنين من صنفه إلى أجل من جميع الأشياء .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وليس له أن يشترط الزيادة عليه في جميع الأموال باتفاق العلماء " " مجموع الفتاوى " (٢٩/٥٣٥) .

وأهل الظاهر الذين خالفوا الجمهور ، فوقفوا عند الأصناف الستة في البيع ، لم يخرجوا على الإجماع في القرض :

قال ابن حزم في " المحلى " (٩/٥٠٩) : " الربا لا يجوز في البيع والسلم إلا في ستة أشياء فقط : في التمر ، والقمح ، والشعير ، والملح ، والذهب ، والفضة . وهو في القرض في كل شيء " .

وقال : (وهذا إجماع مقطوع به) .

وقال ابن قدامة في " المغني " (٤/٣٦٠) : (وكل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف . قال ابن المنذر : أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادة أو هدية – فأسلف على ذلك – إن أخذ الزيادة على ذلك ربا) .

وقال القرطبي في " تفسيره " (٣/٢٤١) : (أجمع المسلمون نقلاً عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أن اشتراط الزيادة في السلف ربا – ولو كان قبضة من علف – كما قال ابن مسعود ، أو حبة واحدة) .

إذن فتحريم فوائد القروض ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومعلوم من الدين بالضرورة .

قال الإمام الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله :

إن النصوص القرآنية الواردة بالتحريم تدل على أمرين ثابتين لا مجال للشك فيهما :

● الأمر الأول :

أن كلمة الربا لها مدلول لغوي عند العرب كانوا يتعاملون به ويعرفونه ، وأن هذا المدلول هو زيادة الدَّين نظير الأجل ، وأن النص القرآني كان واضحًا في تحريم ذلك النوع ، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم ، بأنه الربا الجاهلي ، فليس لأي إنسان – فقيه أو غير فقيه – أن يدعي إبهامًا في هذا المعنى اللغوي ، أو عدم تعيين المعنى تعيينًا صادقًا ، فإن اللغة عينته ، والنص القرآني عينه بقوله تعالى : ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم ﴾ .

● الأمر الثاني :

هو إجماع العلماء على أن الزيادة في الدَّين نظير الأجل هو ربا محرم ينطبق عليه النص القرآني ، وأن من ينكره أو يماري فيه فإنما ينكر أمرًا علم من الدين بالضرورة ، ولا يشك عالم في أي عهد من عهود الإسلام أن الزيادة في الدين نظير تأجيله ربا لا شك فيه . [انظر " بحوث في الربا " (ص٢٩، ٣٠)] .

والله تعالى أعلم .

من روائع الماضي

تفسير القرآن الحكيم

فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي (رحمه الله)

مؤسس جماعة أنصار السنة

قول الله تعالى ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم قل فلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين • ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩١، ٩٢] .

يقول الله جل ثناؤه : إن اليهود المتحدّث عن وصفهم وحالهم في عظيم الكفر والبغي وتحجر القلوب ونجاسة النفوس يزعمون ، مع هذا كله ، أنهم على شيء من العلم والإيمان بالتوراة التي أنزلها الله ، وذلك في الواقع دعوى باطلة ، وأنهم في الحقيقة أشد الناس كفرًا بالتوراة وبكل ما أنزل الله من الهدى والحق على موسى وعلى من بعده من أنبياء بني إسرائيل وغيرهم عليهم السلام ؛ وأن دينهم إنما هو ما تهوى نفوسهم مما شرعه لهم أحبارهم ورؤساؤهم مما لم يأذن به الله ، والعصبية لأولئك الأحبار وتقليدهم تقليدًا أعمى ، لا يصدر إلا عن قلب يَعتقد لأولئك

الشيوخ العصمة من الخطأ وأنهم لا ينطقون إلا عن وحي يُوحى، وقد أفسد هذا التقليد الأعمى والعصبية للأحبار والشيوخ واتّباع ما تهوى أنفسهم، أفسد كل ذلك فطرهم ونكس قلوبهم، حتى صاروا لا يعرفون الحق إلا من قول أحبارهم وشيوخهم مهما قام الدليل القوي والحجة القاطعة على فساده وبطلانه وأنه رجم بالغيب ووحي الشيطان، وصار كل ما لم يقله أحبارهم وشيوخهم باطلاً مردودًا مهما قام البرهان القاطع والحجة القوية على أنه الحق من عند اللّه، مع أن القاعدة المعقولة والفطرة السليمة أن يُعرف الرجال بالحق لا أن يُعرف الحق بالرجال، فجعلوا هم بفطرتهم الفاسدة الحق تابعًا لأهوائهم، يدور معها حيثما دارت؛ فأفسدوا بذلك كل شيء، قال اللّه تعالى: ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وبهذه الفطرة المعكوسة والقلوب المنكوسة حرفوا كلام اللّه عن مواضعه، وزاغوا به عن سبيله المستقيم إلى طريق هواهم المعوج؛ وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوه وقتلوه، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حتى كان خاتم المرسلين محمد صلى اللّه عليه وسلم، جاءهم بالحق مصدقًا للتوراة التي بأيديهم عن موسى، عليه السلام، والتي يزعمون أنهم مؤمنون بها، والتي أخذ اللّه فيها العهد عليهم أن يؤمنوا بمحمد صلى اللّه عليه وسلم، ويعزروه وينصروه، وإلا كان ذبحهم على يده ويد أتباعه، فلما جاءهم من كل ذلك ما عرفوا كفروا به، لا جهلاً بحقيقة صدقه ولا اشتباهًا في حقيقة أمره، ولكن حسدًا من عند أنفسهم، جريًا على طريقتهم مع كل رسول يجيئهم بما لا تهوى أنفسهم – ومحال أن يرسل اللّه رسولاً بما تهوى أنفسهم، أو بما تهوى أنفس غيرهم – تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ولقد كانوا مع هذا يتظاهرون بسمة العلم ويراءون الناس بتكلف التدين، والتشديد في تحريم بعض الأطعمة وغيرها ليخدعوا الناس عن فسوقهم وتمردهم على كل دين، ويوهموهم أنهم على شيء، وهم ليسوا على شيء.

ولقد كان العرب في الجاهلية ينخدعون بذلك ويعتقدون أن اليهود على شيء من الدين، فكان كثير من أهل المدينة وغيرهم يقلدونهم في كثير مما يزعمونه دينًا من صيام وغيره. فلما جاء الإسلام فضحهم اللّه شر فضيحة، وكشف عن

مخازيهم ، وأبدى للناس سوآتهم ؛ فمقتوهم أشد المقت ، وهم على ذلك إلى اليوم وإلى آخر الدهر .

وفي هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها يفضح الله دعواهم الزائفة ، ويكشف عما وراء تشدقهم بالعلم والدين ، ويدمغهم بميسم البهت والفجور : أنهم إذا دُعوا إلى الحق الذي أنزله الله ، والذي أقام عليه الحجة حتى أيقنوا أنه حق من عند الله ، وحتى اعترفوا بألسنتهم أنه من عند الله لا شك في ذلك ، إذا دعوا إلى الإيمان بهذا الحق قالوا : هذا الحق ليس لنا إنما هو لغيرنا ولمن على غير مبدئنا وطريقتنا ، وعندنا نحن من علم شيوخنا ما فيه غناء لنا عن هذا الحق ، وإذا نَقَصَنَا شيء من العلم فلن نأخذه إلا من واحد يكون منا وعلى مبدئنا وطريقتنا ، وإذا لم نجده الآن فخير لنا أن نبقى على هذا النقص ، ولا نأخذه من نبي أمي إنما أرسل للأميين .

روى الإمام أحمد والنسائي عن صفوان بن عسال ، رضي الله عنه ، قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، قال له صاحبه : لا تقل : نبي ، لو سمعك كان له أربعة أعين . فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألاه عن تسع آيات بينات ، فقال لهم : " لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنة ، ولا تولوا يوم الزحف ؛ وعليكم خاصة يهود : ألا تعدوا في السبت " . فقبَّلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : " فما يمنعكم أن تتبعوني ؟ " . قالوا : إن داود دعا بأن لا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود .

فأهل الكتاب يعرفون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي حقًا ، نزل عليه الحق من ربه كما نزل على موسى ، عليه السلام ، واستثبتوا من ذلك بعدة امتحانات وأسئلة أوردوها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يقصدون بها تعجيزه ، فينزل جبريل عليه بالجواب ، فلا يسعهم عندئذ إلا الاعتراف بأنه رسول الله ، وبذلك تلزمهم الحجة فيحاولون التملص منها بقولهم : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] ، وهم في الواقع لا يؤمنون بالمُنَزَّل من عند الله على موسى ، فإن الذي يؤمن بما نَزَّل الله على موسى حقيقة لا بد أن يؤمن بكل ما ينزل الله على من بعد موسى ، لأن مقتضى الإيمان في الجميع واحد ، وهو أنه من عند الله ، فقول الله : ﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ [البقرة : ٩١] ، أي بما سوى ما عندهم من العلم ، بيان

لغلبة الهوى والعصبية عليهم ؛ وتحقق لكذبهم في دعوى الإيمان بما أنزل من عند الله ، وأنَّ كفرهم هذا بكل ما أنزل الله بعد التوراة ينطوي على دعوى الحجر على الله سبحانه أن ينزل شيئًا من العلم والدين بعد التوراة ، وذلك أعظم البهتان والفجور .

ثم ساق الله أقوى حجة وأقطع برهان على بهتانهم بقوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يأيها النبي لأولئك اليهود الزاعمين الإيمان بما أنزل الله : ﴿ فلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل ﴾ [البقرة : ٩١] أي ؛ الأنبياء من بني إسرائيل الذين أرسلهم الله إليكم وبعثهم من قبلي : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقيقة بما أنزله الله من التوراة التي حرم فيها أشد التحريم قتل النفس بغير حق ، خصوصًا أطيب النفوس وأطهرها ، نفوس الأنبياء الذين ينبغي لهم كل الإجلال والطاعة ، والذين يجب تقديم محبتهم على النفس والمال والولد ؟ ما ذلك إلا لأن نفوسكم معشر يهود تنطوي على أشد الكره والعداء لأولئك الأنبياء الذين أقام الله لهم المعجزات والآيات على صدقهم ، وهل يجتمع إيمان بما أنزل الله مع أشد العداء لرسل الله ؟ مستحيل ذلك أشد من استحالة اجتماع الخبيث والطيب والظلمة والنور .

ثم ساق دليلاً آخر على كفرهم بكل الأنبياء حتى بموسى نفسه عليه السلام ، فقال موبخًا لهم ومشددًا في النكير عليهم : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ [البقرة : ٩٢] بالآيات الواضحات والمعجزات الناطقات بأنه الذي أرسله الله لخلاصكم من الذل وسوء العذاب ؛ وتحقق لكم صدقه عيانًا بغلبة سحرة فرعون في يوم الزينة وقد حشر الناس ضحًى ؛ فأراهم الله آية موسى ، التي تلقفت ما أفك السحرة : ﴿ فألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون ﴾ [الشعراء : ٤٦-٤٨] ، ثم أراكم أيضًا بأعينكم آيات بينات ، إذ ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فنجاكم مع موسى وأغرق فرعون ومن معه من الجند العظيم ، أراكم الله تعالى كل تلك الآيات لموسى عليه السلام : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ [البقرة : ٩٢] أي من بعد أن ترككم مع هارون يسير على قدر ضعفكم وتقلكم ، وذهب متعجلاً لميقات ربه : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] لأنفسكم بعبادة عجل ، أبلد الحيوانات ، وما كان بعجل حيوان ، لكنه عجل جسد من معدن صامت له خوار . فيا للعقول السقيمة والفطر التي أفسدها التقليد الأعمى والعصبية الجاهلية ، ومن كان حاله كذلك فليس بغريب منه أن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي ، الذي جاء بخير الشرائع وأكمل الملل ، ونسخ بكتابه كل كتاب وكل شريعة سابقة ، وكسر عن قلوب

الناس قيود الأوهام والعصبيات والتقليد الأعمى للشيوخ والأحبار، وأخرجهم من ظلمت الجهل إلى نور العلم، ومن الضلال إلى الهدى.

ولقد خلَف خلْف اتبعوا سنن أولئك الذين ذمهم اللّه في كتابه، وفرقوا دينهم شيعًا ومذاهب، وكل واحد يقول: لا آخذ إلا بما في كتب مذهبي وما اختارته شيعتي وأهل طريقتي؛ لأن مذهبي حق لا يحتمل الخطأ، ومذهب غيري حق يحتمل الخطأ، وتجارى بهم ذلك حتى ردوا لأجله ما أنزل اللّه من الكتاب والحكمة وقالوا: هذه الآية لمذهب فلان وليست على مذهبنا، وهذا الحديث أخذ به فلان ولم يأخذ به إمامنا، وتجارى بهم سلطان الهوى إلى العصبية الجاهلية التي أفضت في بعض البلاد والأزمنة إلى إراقة الدماء وقتل النفس التي حرم اللّه قتلها، فضلاً عن التكفير والتضليل، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

قال الشيخ صالح الفلاني في «إيقاظ أولي الأبصار» – بعد أن ساق كلام كثير من علماء السلف والأئمة في ذم التقليد والعصبية للمذاهب –: قد فهمنا من كلام هؤلاء الأئمة أن كل من قلد واحدًا من العلماء المجتهدين في نازلة من النوازل بعد ظهور كون رأي ذلك الإمام مخالفًا لنص كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي – عند القائل به – وعلم المقلد النص المذكور، فصمم على التقليد فهو كاذب في دعواه الاقتداء بالإمام المذكور، وكاذب في تقليده، بل هو متبع لهواه وعصبيته، والأئمة كلهم بريئون منه؛ فهو مع الأئمة بمنزلة أحبار أهل الكتاب مع أنبيائهم، فإنهم يَدَّعون اتّباع الأنبياء، مع أن الأنبياء قد أمروهم باتباع محمد صلى اللّه عليه وسلم والإيمان به ونصره، وهم يكذبون محمدًا صلى اللّه عليه وسلم ويؤذونه، ويلزم من تكذيبهم للنبي صلى اللّه عليه وسلم تكذيبهم جميع الأنبياء. اهـ.

والحمد للّه على العافية من ذلك، ونسأله الثبات على الهدى.

محمد حامد الفقي

إنا للّه وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية – عند اللّه – زوجة رجل من المؤسسين الأوائل لدعوة أنصار السنة المحمدية وهو الشيخ / عبد الباقي الحسيني، حيث توفاها اللّه يوم السبت الموافق ٢٩/٣/١٩٩٧م، وكانت المتوفاة، رحمها اللّه، من الحافظات لكتاب اللّه.

رحم اللّه الجميع وأسكنها فسيح جناته.

المركز العام
إدارة الدعوة والإعلام
لجنة رعاية الشباب

نتيجة مسابقة مجلة التوحيد لعام ١٤١٧ هـ

تعلن إدارة الدعوة والإعلام للإخوة المساهمين في حل مسابقة مجلة التوحيد أنه تم اختيار العشرة الأوائل ، ولكن نظرًا لكثرة المتسابقين (٦٣٥) متسابق قررت إدارة الدعوة والإعلام زيادة عدد الجوائز إلى عشرين جائزة ، وفيما يلي أسماء الفائزين :

الترتيب	الاسم	العنوان	الجائزة
الأول	السيد محمد محمود نوار	دمنهور - البحيرة	عمرة
الثاني	سحر محمد عبد الخالق السيد	أبو حماد - شرقية	٢٥٠ جنيه
الثالث	محسن فتحي محمد السيد	السنبلاوين - دقهلية	٢٠٠ جنيه
الرابع	أحمد سعد عبد القادر	شبين الكوم - منوفية	١٥٠ جنيه
الخامس	شريف السيد عليوه إبراهيم	كفر محمد حسين الزقازيق	١٠٠ جنيه
السادس	محمود عبد السلام سليم	الرحامنة - دمياط	"زاد المعاد"
السابع	أشرف فتحي سليمان أحمد	قرية العبسي - بلبيس	"موارد الظمآن"
الثامن	مني السعيد عبد القادر	كلية التربية - شبين الكوم	"تفسير ابن كثير"
التاسع	محسن إبراهيم حسن	ش المحطة - بلبيس	"فتاوى اللجنة الدائمة"
العاشر	جمال أحمد علي أحمد	سنورس - الفيوم	"إظهار الحق"
الحادي عشر	عبد الرحمن محمد حسام الدين	الزرقاء - دمياط	مجموعة كتب
الثاني عشر	سعيد أبو القاسم طراف	حلوان - القاهرة	مجموعة كتب
الثالث عشر	سامي حلمي ذهب	كوم أمبو - تهجير النوبة	مجموعة كتب
الرابع عشر	عاطف حسن أبو سيف	الفيوم - منشأة الجمال	مجموعة كتب
الخامس عشر	فكري فكري سراج حمور	دمياط - السرو	مجموعة كتب
السادس عشر	وائل عبد الوهاب عبد الحي	شبرا - القاهرة	مجموعة كتب
السابع عشر	نوال سيد أحمد بمويدان	كفر عسكر - منوفية	مجموعة كتب
الثامن عشر	إبراهيم رشدي علي	بني مزار - المنيا	مجموعة كتب
التاسع عشر	محمد أحمد أبو الذهب	ورورة - بنها	مجموعة كتب
العشرون	أسماء عيد رجب	منشأة البكاري - القاهرة	مجموعة كتب

وعلى الإخوة الفائزين بالجوائز المالية التوجه إلى الإدارة المالية بالمركز العام ؛ وكذلك الإخوة الفائزين بالجوائز العينية التوجه لإدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام .

لجنة رعاية الشباب
صابر محمد مالك

مدير إدارة الدعوة والإعلام
صفوت الشوادفي

الفهامة .. والحسرة والندامة !!

بقلم فضيلة الشيخ / مصطفى عبد اللطيف درويش

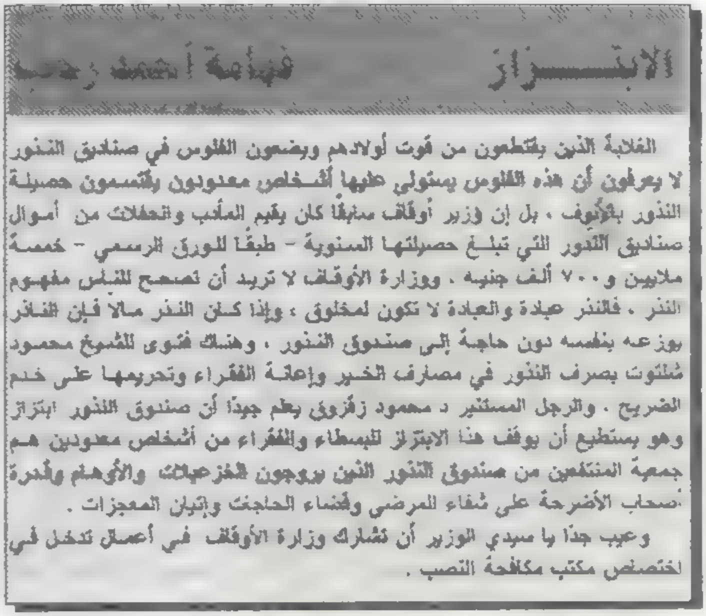

الابتــزاز **فهامة أحمد رجب**

الغلابة الذين يقتطعون من قوت أولادهم ويضعون الفلوس في صناديق النذور لا يعرفون أن هذه الفلوس يستولي عليها أشخاص معدودون ويقتسمون حصيلة النذور بالألوف ، بل إن وزير أوقاف سابقًا كان يقيم المآدب والحفلات من أموال صناديق النذور التي تبلغ حصيلتها السنوية - طبقًا للورق الرسمي - خمسة ملايين و ٧٠٠ ألف جنيه . ووزارة الأوقاف لا تريد أن تصحح للناس مفهوم النذر . فالنذر عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، وإذا كان النذر مالًا فإن الناذر يوزعه بنفسه دون حاجة إلى صندوق النذور . وهناك فتوى للشيخ محمود شلتوت بصرف النذور في مصارف الخير وإعانة الفقراء وتحريمها على خدم الضريح . والرجل المستنير د محمود زقزوق يعلم جيدًا أن صندوق النذور ابتزاز وهو يستطيع أن يوقف هذا الابتزاز للبسطاء والفقراء من أشخاص معدودين هم جمعية المنتفعين من صندوق النذور الذين يروجون الخزعبلات والأوهام وقدرة أصحاب الأضرحة على شفاء المرضى وقضاء الحاجات وإتيان المعجزات .

وعيب جدًا يا سيدي الوزير أن تشارك وزارة الأوقاف في أعمال تدخل في اختصاص مكتب مكافحة النصب .

نحن ننقل فهامة أحمد رجب كما هي في صحيفة « أخبار اليوم » عدد ١٩٩٧/٣/٨ م .

ثم بعد ذلك نقول : أما عن : أن وزير أوقاف سابق كان يقيم المآدب والحفلات من أموال صناديق النذور فهي يا أستاذ أحمد مجرد حفلات لعلماء في فنادق الخمسة نجوم تُقدم فيها الكفتة والكباب كما أعلن في وقتها ، ومن حق العلماء أن يُحَلِّقوا في آفاق النجوم !! صحيح أن أصحاب هذه النذور أحيانًا لا يُسمح لهم بمجرد الاقتراب من ساحات الاحتفالات ، وبعضهم رائحة الكفتة والكباب غريبة عليه ولا يعرفها إلا عند المرور العابر على محلاتها ، وبعضهم مصاب بأنيما حادة من سوء التغذية ، ويؤثرون صناديق النذور وبهم خساسة (بالسين لا بالصاد) !!

والعجيب أن وزارة الأوقاف أصدرت في ذلك الوقت كتيبًا بعنوان " تقاليد يجب أن تزول " ، وجاء في مقدمته : أنه من وضع مجموعة من علماء الأوقاف نحو الأمية الدينية ، وجاء فيه : أن كسوة الأضرحة حرام ، وما يوضع في صناديق النذور حرام ومخالف لعقيدة الإسلام !! ﴿ يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ﴾ [التوبة : ٣٧] !!

ويسمون هذه الموائد كرم ضيافة ، وأن خليل الرحمن جاء لضيفه بعجل سمين مشوي وهو أكبر من حجم الكفتة والكباب ، مع فارق هو أن العجل من ماله الخاص ، وحفلات الكباب والكفتة من أموال حرام ، ووضعها جياع وفقراء ومن هم في حاجة إليها .

ثم يا أستاذ أحمد رجب لماذا تضيق الواسع على الناس وفي موالد أسيادهم الرقص الشعبي والميسر والثريد والاختلاط الذي يشبه الحشر في " الأتوبيس " ، وأحيانًا المخدرات وغيرها ، وكله كما يقولون : بركات سيدهم ، جيّاب الأسرى ، ونجدة المنضام ، وشيخ العرب !!

أما خدم الضريح فسبحان الرزاق ، عمارات وسيارات وأرصدة في البنوك من أموال أحيانًا لا تمر على الصناديق ،

وأحيانًا تمر ، ولكنها تعود بطريقة يدوية فيها شيء من المهارة ، وأحيانًا نسبة قانونية !!

والرحلة من دار الخلافة - خلافة حامي الحمى والعطاب وشيخ العرب وغيره مما أطلقته طرق الصوف من مسميات - الرحلة من دار الخلافة إلى عتبة صاحب المدد ، وهي تمر في موكب سوي تشارك فيه الرسميات من غير امتناع إلا إرضاء الملايين ، هذه الرحلة حصيلتها كانت في سنة من السنين (٦٠ ألف جنيه) من النذور ، ويسقط العلم ويحيى الجهل ما دامت هذه حصيلة ، ولا مانع من ركوب الخليفة المنتظر الذي أحيانًا يبول على نفسه !!

ولماذا تحزن يا أستاذ أحمد رجب وتسمي ذلك ابتزازًا وأعمالها تدخل في اختصاص مكتب مكافحة النصب ، ألم تعلم أن الطرق - أقصد طرق الصوف - لها نسبة قانونية هي عشرة في المائة من هذا الابتزاز !!

✱ **ملحوظة عابرة :** كلمة صوفية في القياس اللغوي لا تنسب إلى الصفاء ؛ لأن النسب إليه يقال له : صفوي ، ولا إلى الصف يقال : الصافون ، ولا إلى الصُفّة ؛ أي أهل الصفة . يُقال : صفي . الشيء الوحيد الذي يقبل النسبة هو " الصوف " ، ولا علاقة بين الصوف والتدين إلا في دين البراهمة .

والعجيب يا أستاذي الفاضل أنهم لا يحتاجون إلى فهامة .. صدقني كلهم يفهمون ويعلمون ، ويصدرون تراخيص الموالد وغيرها ، ولكنهم يسيرون على قاعدة : إذا كان الحق يثير عليك العامة فاكتمه ..، وإعلان الحق يثير الفتن ويتعارض مع نسبة الأصوات في الانتخابات .

والعجيب أن لهم حجرًا أسود ، ولينال القداسة أشاعوا بين الناس أن قدم رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مطبوعة عليه !! ولكن لماذا هو الحجر الوحيد الذي طبع عليه القدم ؟! وما الذي نقله إلى طنطا ؟! الهدف أن ينافس الحجر الأسود في الكعبة ، ثم بعد ذلك سعي وطواف حول شيخ العرب ، ولسان حالهم يقول : ﴿ شفعاؤنا عند اللّٰه ﴾ [يونس : ١٨] ، و﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّٰه زلفى ﴾ [الزمر : ٣] ، وذلك يذكرنا بالقُلّيس الذي بناه أبرهة الحبشي ليصرف الحجيج عن بيت اللّٰه الحرام ، ألم يُعْلِن سامري القرن العشرين أن زيارة شيخ العرب تعدل حجة !!

ويستأذن صاحب دكتوراة من فرنسا سيده أبا الحسن الشاذلي ليكتب عنه ومد له اليد موافقًا مصافحًا ، وعلى الذين لا يحملون حتى شهادة محو الأمية أن يصدقوا !!

يا أستاذ أحمد رجب عليك أن تكثر من هذه الفهامات ، فواللّٰه ما دب الخراب الاقتصادي والغلاء وخراب الذمم وانتشار الفساد والنهب وغيره إلا لغياب عقيدة التوحيد التي تُعَلِّم الخوف من اللّٰه في كل زمان ومكان ، وانتشار خرافة غضب العطاب ، شيخ العرب ، ونذهة المنضام ، وجياب الأسرى ، وما زالت عقيدة عجل السيد قائمة يروجها السامري ، ولكن أين موسى عليه السلام ؟!

مكبر الصوت في معبد شيخ العرب ينادي ؛ حي على الصلاة ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، منهم مشغولون خارج المعبد بالألعاب السحرية والميسر والمخدرات وغيرها ، والأيادي كلها لا تمتد إلى أعلى لتنادي يا اللّٰه .. كلها تمتد إلى سيدهم ، وإذا قلنا لهم : ﴿ هو الحيُّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ [غافر : ٦٥] ، قالوا : وهل شيخ العرب ميت في قبره ؟!

إنها وثنية شيخ العرب والقطب الرباني ، والثالثة الأخرى صاحبة الشورى ورئيسة الديوان !!

إن سقوط مسجد الإسراء في أيدي من سماه اللّٰه في القرآن القردة والخنازير ، عبدة الطاغوت لم يأت إلا من فراغ عقائدي .

اطلقها يا أستاذ أحمد رجب فهامة .. ودعهم بعد ذلك للحسرة والندامة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

من أخبار الجماعة

قرر مجلس إدارة المركز العام في جلسته رقم ٦ المنعقدة بتاريخ ٨/٥/١٩٩٧ م بشأن إعادة تشكيل اللجان التنفيذية الإقليمية على أساس ست مناطق على مستوى الجمهورية ، بشرط أن يكون رئيس المنطقة التنفيذية الإقليمية عضواً بمجلس إدارة المركز العام ، وبناءً على ذلك فقد تشكلت هذه اللّجان على النحو التالي :

م	المنطقة التنفيذية الإقليمية	رئيس اللجنة
١	القاهرة والجيزة	الشيخ / فتحي أمين عثمان
٢	الإسكندرية والبحيرة	الشيخ / بخاري أحمد عبده
٣	القليوبية والمنوفية	الشيخ / أبو العطا عبد القادر
٤	الدقهلية ودمياط وبورسعيد	د / الوصيف على حزة
٥	الشرقية والقناة	الشيخ / أحمد المسلمي الحسيني
٦	الصعيد	الشيخ / عبد العزيز عاشور

وتقوم هذه اللجان بمتابعة العمل وتنفيذ الخطط مع المركز العام وحل المشكلات بين الفروع ، ويعاون الرئيس ستة أعضاء في كل لجنة فرعية يتم اختيارهم بواسطة رؤساء فروع المنطقة الإقليمية .

السكرتير العام

د. الوصيف على حزة

المسلمون والنظام العالمي الجديد

رؤيـــة أصوليـــة شرعيـــة

بقلم د / جمال المراكبي

كان انهيار الاتحاد السوفيتي وتفتته إلى دويلات كثيرة بمثابة قنبلة زمنية موقوتة هزت أرجاء العالم ، وتحول النظام العالمي من التوازن في القوى بين القطبين الكبيرين وحلفيهما إلى نظام جديد انهار فيه القطب الروسي ، وتضخم فيه دور القطب الأمريكي ؛ خاصة بعد الحرب التليفزيونية الشهيرة التي شنتها أمريكا وحلفاؤها ضد ديكتاتور العراق "صدام ".

• العالم الإسلامي ودوره في هذا النظام الجديد :

لقد أكدت الأحداث أن العالم الإسلامي ليس له أي دور في الملعب السياسي الذي برز فيه النجم الأمريكي السوبر ومعه مجموعة من الكبار يسيرون خلفه في منظومة متوافقة إلى حد بعيد ، ولهذا فهم يحرزون الأهداف تباعًا دونما مزاحمة من أحد ، بينما المسلمون ينقسمون على أنفسهم بصورة تدعو للأسى وربما للاشمئزاز ، إنهم لا يعرفون هويتهم ، بل هم يختلفون حولها اختلافًا كبيرًا .

ولهذا تتجلى الصراعات في البلاد الإسلامية بصورة مختلفة ، فهي صورة عنيفة في أفغانستان ، حيث يتقاتل المجاهدون لإحباط ما قد يكونوا قد حازوه من أجر في جهادهم ضد الشيوعيين ، وهي صورة حالكة السواد في الصومال ورواندا ، حيث يتقاتل الأشقاء في عصبية جاهلية مقيتة ، ويدوسون بأقدامهم على أجساد الجوعى من الشيوخ والنساء والأطفال من الآباء والأبناء .

أما الدول الإسلامية التي سَلِمت من هذا القتال ، فالتراشق الفكري فيها على أشده بين من يرفع شعار العودة لتطبيق الأحكام الشرعية ، وبين من يرون في هذه العودة ردة حضارية ، وخيانة للعلم والحضارة والمدنية ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين

وبين هؤلاء وهؤلاء شراذم تحسب على المسلمين تظن أن تغيير هذا الواقع يكون بزرع قنبلة في أتوبيس سياحي ، أو أمام موكب لأحد الوزراء ! وسواء كان هؤلاء مأجورين أم مضللين فإنهم يبرزون باعتبارهم ممثلو الأصولية الإسلامية ، وتتركز عليهم الصورة حتى لا يظهر فيها غيرهم ، ويحلو لأعداء الإسلام أن يحللوا القضايا الحيوية من خلال تركيزهم على هذا الإطار الممسوخ للدعوة الإسلامية

لا بد لنا من تحديد الهوية والاتفاق حولها لكي يكون لنا دور في أي نظام عالمي جديد ، أما حالة المسخ والضعف التي نعيشها فيما بيننا سواء على مستوى الأفراد والأفكار ، أم على مستوى

الجماعات والدول ، فلن تجعل لنا إلا دورًا واحدًا هو دور المأكول بين جماعة الآكلين ، فإذا أراد المأكول أن يغير موقعه على المائدة فإنه يأكل نفسه بنفسه حين يتأجج الصراع بين الرفقاء الضعفاء فيأكل بعضهم بعضًا .

وصدقت فينا نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » . قالوا : ومن قلةٍ يومئذ ؟ قال : « لا ؛ بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، ولتعرفن في قلوبكم الوهن » . قالوا : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » . [رواه أحمد وأبو داود] .

● كيف نجحت الدعوة الإسلامية الأولى في تغيير النظام العالمي ؟

لقد بدأت الدعوة الإسلامية في مكة جنينًا يتحرك في رحم الدنيا ، في عالم لا يعرف الله ، يعبد الطواغيت ، تسيطر عليه القوة الغاشمة ، ولقد كان الصراع على أشده بين القطبين الكبيرين الذين يسيطران على العالم في هذا الوقت ، وهما دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب ، وتقع المعركة الشرسة بين الفرس والروم وتنتهي بهزيمة ساحقة للروم – وهم أهل كتاب – من الفرس عبدة النار ، ومع أن المعركة كانت بعيدة عن الوليد الجديد إلا أن رب العالمين يعلمه ويربيه على المشاركة الجادة والفعالة في تغيير دفة هذا الصراع دون متابعة لأحد ، فينزل القرآن الكريم بسورة يعرف منها الوليد حقيقة الصراع ودوره في هذا الصراع وهي سورة « الروم » .

﴿ الم ۞ غُلبت الروم ۞ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۞ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ۞ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ١-٦] .

وبالفعل تحقق وعد الله فانتصر الروم على فارس بعد ذلك ، وزامن هذا الانتصار للنصارى أهل الكتاب على الفرس عبدة النيران يوم الفرقان ، يوم انتصرت القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة الغاشمة في يوم بدر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ [الروم : ٤،٥] .

لقد جاءت الدعوة الإسلامية الوليدة لتغير بإذن ربها من شكل النظام العالمي الكافر والجائر : « إن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب » . كانوا على التوحيد الخالص لله ، ولكنهم كانوا قلة قليلة مختفية كالقسس الذين تعلم منهم سلمان الفارسي قبل أن يُسلم ؛ لهذا بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالإيمان والإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأمره أن يدعو الناس ، وأن يقاتل بمن أطاعه من عصاه ، ووعده بالنصر والتمكين في الدنيا والآخرة .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثق بهذا الوعد ، ويسعى إليه ، ويطمئن به أصحابه ، ويثبت به المستضعفين منهم ، فكان يمر على آل ياسر ويقول : « صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

وجاءه خباب بن الأرت يشكو ويقول : ألا تستنصر لنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « والله

ليُتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من بصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا الله ، ولكنكم تستعجلون " .

ولما حاصر الأحزاب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل جانب ، وضاق الأمر على أصحابه لم ينس النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشرهم بفتح بلاد كسرى وقيصر ، ووعد سراقة بن مالك قبل ذلك أنه سيكون في الجيش الذي يفتح فارس ، وأنه سيلبس سِوَاري كسرى .

إنها لم تكن مجرد أحلام أو أوهام ، إنها وعود صادقة من صادق مصدوق ، يبلغ عن رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين ، مالك الملك ذي الجلال والإكرام ، وهو سبحانه يؤكد هذا الوعد في كتابه الكريم : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٥٥] .

إن هذا الوعد الصادق لا يتحقق إلا بأيدي المؤمنين الصادقين ، ولهذا كان الابتلاء ووجب الصبر واليقين ليميز الله بين أهل الصدق وبين الكاذبين والمنافقين ، قال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ٢،٣] .

إذن فمفردات التمكين هي الإيمان والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله والصبر على ذلك حتى يأتي نصر الله مهما كان الأذى ، فإن الله ، تبارك وتعالى ، أقام الدنيا على سُنة الابتلاء والمدافعة بين قوى الخير والشر ، وجعل مفردات التمكين هي سبيل النجاح والفلاح ، وأقسم على ذلك فقال : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسرٍ * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١-٣] .

* الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ عملية التمكين :

بعد كفاح مرير ، وصبر طويل ، ارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة ، فبعد أن صالح النبي صلى الله عليه وسلم مشركي مكة صلح الحديبية ، الذي جعله الله فتحًا مبينًا ، وفتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، وجرت فيها سهام الله ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج بدعوة الإسلام إلى العالم بأسره ، فبعث الرسل إلى فارس والروم ومصر والحبشة وغيرها يدعو أهلها إلى الإسلام والسلام ، ويقول لقادتها : " أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين " .

ولأن التمكين لا يأتي بمجرد دعوة في رسالة ، فقد رفض الجميع هذا العرض الطيب ، فكان لا بد لجماعة المسلمين من رفع راية الجهاد في سبيل الله ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية لقتال الروم في " مؤتة " ، وخرج بنفسه صلى الله عليه وسلم لقتالهم في " تبوك " ، وجهز جيشًا ثالثًا لقتالهم بقيادة أسامة بن زيد ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر في الناس يحثهم على القيام على أمر هذه الدعوة : (ألا إن محمدًا قد مات ، ولا بد لهذا الدين من قائم يقوم به ، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) .

فقام الصحابة على هذا الدين يجاهدون في سبيل الله ، ويرفعون راية لا إله إلا الله ، ويُخرجون العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد الواحد القهار ،

وتهاوت مدائن كسرى وحصون قيصر أمام صيحة الله أكبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، وتغير شكل النظام العالمي القائم ، فصار نظامًا جديدًا يقوم على التوحيد والعدل والمساواة بين بني البشر دون ظلم أو إكراه على الدخول في الدين الجديد : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وبعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة التي فتح الله لها وأعز الإسلام وأهله على يديها ، بدأ الانحدار ، فصارت الخلافة ملكًا عضوضًا ، وكثرت الانحرافات وتمكنت الفُرقة من المسلمين ، وامتحن أهل السنة والحق ، وصارت القوة ضعفًا ووهنًا ، وأغار أعداء الإسلام على بلاد الإسلام من المشرق ومن الغرب ، فتتابعت الحملات الصليبية ، وتلتها الهجمة التترية ، وتهاوت الحضارة الإسلامية في الأندلس ، واقتسمت الدول الأوربية تركة الرجل العثماني المريض ، وسقطت دويلات المسلمين في أيدي المستعمرين ، وبدأت حملات التغريب ، ومسخت الهوية الإسلامية في بلاد المسلمين ، ثم كانت النعرات القومية ، وتلاها الاستقلال والتقسيم ، والخلاف حول الحدود المصطنعة يتفجر من حين لآخر ، وعاد الإسلام غريبًا في أرضه كما كان قد بدأ غريبًا .

وصارت الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، والدعوة إلى وحدة المسلمين أو حتى تعاونهم وتكاملهم أمرًا غريبًا في بلاد المسلمين ، بينما تسعى أوربا رغم تعدد القوميات إلى الوحدة الشاملة بعد أن قطعت شوطًا كبيرًا في التكامل الاقتصادي من خلال سوقها المشتركة ، هذا مع أن الحق ، سبحانه وتعالى ، يدعونا إلى الوحدة من خلال الاعتصام بهذا الدين : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

لا يمكن للمسلمين أن يواجهوا التحدي الجديد ، ويحجزوا لهم مقعدًا بين الكبار إلا بتوحيد الجهود المبعثرة وتحقيق التكامل الاقتصادي والتكافل الاجتماعي ، ثم الوحدة السياسية أو التنسيق السياسي على أقل تقدير .

أين السوق الإسلامية المشتركة ؟ أين التقارب والتعاون بين المسلمين ؟ إن هناك من يسعى بالوقيعة ، وينفخ في الرماد لكي يؤجج الصراع بين الدول الإسلامية ، إن الدعوة الإسلامية التي غيرت النظام العالمي قديمًا قادرة على تغيير شكل النظام العالمي الجديد إذا تضافرت القوى وتوحدت الجهود ، واتضحت الرؤية للقائمين على أمور المسلمين .

إن الدور الإسلامي في النظام الجديد لا يمكن أن يكون دور مصر وحدها ، ولا يكفي فيه التنسيق بين مصر وسوريا والسعودية ، ولكنه دور لا بد أن يُدعى إليه الجميع ، ويشارك فيه الجميع ، وليكن هذا التنسيق هو البداية ، وليكن مؤتمر القمة العربي المنصرم هو حلقة من حلقات التكامل والتوحد .

إنني أتوجه إلى الحكومة المصرية بشكل خاص ، وإلى الحكومات العربية والإسلامية بشكل عام بضرورة إحياء الفكر الشرعي - الذي يعتمد على الشرعية - في القوانين المقترحة ؛ لأنه الأساس المتين للوحدة بين المسلمين .

وأرجو من الحكومة المصرية أن تسارع بالتنسيق مع مجلس التعاون الخليجي ، ومجموعة المغرب العربي إلى دعوة القادة العرب والمسلمين إلى مؤتمر قمة

إسلامي يحضره الملوك والرؤساء ورجال الفكر والعلماء، تطرح فيه قضايا الهوية الإسلامية، والتعاون، والتكامل، والوحدة، ولا يُكتفى في ذلك بمنظمة المؤتمر الإسلامي، فإنها لا تغني ولا تسمن من جوع.

لا يمكن أن يكون دورنا في النظام العالمي الجديد هو دور الحليف الضعيف، أو التابع للآخرين، بينما نحن نملك القدرة على تعديل هذا الدور وتغييره، ولن نغير هذا الدور إلا بالالتفاف حول بعضنا البعض في منظومة متناسقة، ولن يكون هذا إلا بتحديد هويتنا ومعرفة دورنا، والاعتصام بكتاب ربنا عز وجل.

• ماذا نصنع مع المسيح الدجال؟

إن النظام العالمي لا يستقر على حال، إنه دائم التطور والتغير، ولا بد أن نتعامل مع أي نظام قائم من منطلق تمليه علينا عقيدتنا وشريعتنا المرنة وهويتنا الإسلامية.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ينبئنا عن نظام عالمي قادم سيظل العالم بأسره، هو نظام المسيح الدجال الذي ينتظره أكثر سكان العالم اليوم بشغف بالغ، وتدل توجهاتهم على أنهم سيكونون من أتباعه وأنصاره. والمسيح الدجال رجل من بني آدم، جعله الله تعالى محنة للناس في آخر الزمان: ﴿ يُضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يُضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقد صرحت الأحاديث الصحاح بخروجه في آخر الزمان من جهة المشرق، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك كثير من الناس، ويلتف حوله اليهود، فيأخذ البلاد بلدًا بلدًا، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه وفتن أهله، غير مكة والمدينة، فإنه يعجز عن دخولهما، ويستخدم في غواية الناس خوارق عديدة. ففي "الصحيحين" عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة – خارج المدينة – فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق".

وفي "الصحيح": "إنه يجيء معه بمثل الجنة والنار". "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر".

• أين يكون موقعنا من هذا النظام العالمي الجديد، نظام المسيح الدجال؟

هل تسارع الدول المسلمة إلى تأييده ومبايعته ومباركة نظامه العالمي الجديد، والانخراط في سلكه، وتنسى أنها دول مسلمة تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أم نتمسك بديننا، ونعارض كل الدجاجلة والكذابين، ونقول لهم بملء أفواهنا: ما ازددنا فيكم إلا يقينًا، ولن يزيدنا البلاء إلا صبرًا وتمسكًا بديننا وشريعتنا واعتصامًا بوحدتنا.

إن واقع المسلمين الآن ينبئ عن مواقعهم غدًا في النظام العالمي الجديد، فمن أراد النجاة غدًا من شر الدجال فليعتصم اليوم بشريعة الإسلام.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

مــع الشيعــة

في الأصول والفروع

تأليف الدكتور / **علي أحمد السالوس**

أستاذ الفقه والأصول - كلية الشريعة - جامعة قطر

صدر حديثا

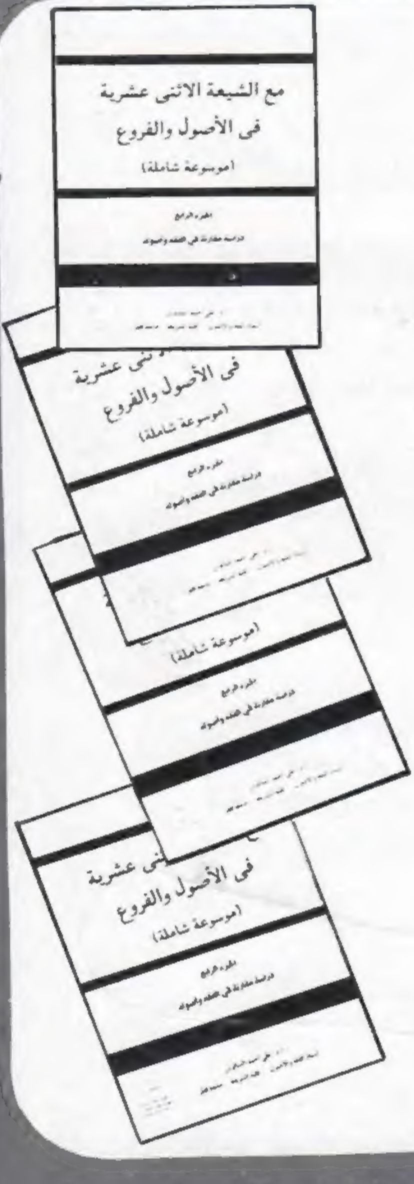

مع الشيعة الاثنى عشرية

فى الأصول والفروع

(موسوعة شاملة)

- موسوعة شاملة في أربعة أجزاء .
- دراسة مقارنة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه .
- المصدر : كتب علماء الشيعة ودواوين السنة الثمانية

* تطلب من :

المركز العام لأنصار السنة - القاهرة ٣٩١٥٤٥٦

فرع المنصورة ت : ٠٥٠/٣٦٦٣٢٩/ فرع العاشر من رمضان ٠١٥/٦٣٦٣٢٩

دار التقوى / بلبيس ت : ٠٥٥/٨٤٠٧٩٩

دار الثقافة - قطر دور النشر بالقاهرة

لا تدفع أكثر من **عشرين** جنيها

الناشــر

مكتبة دار التقوى للنشر والتوزيع
جمهورية مصـر العربيـة
ت : ٠٥٥/٨٤٠٧٩٩

دار الثقافة
الدوحة - قطر
ص.ب : ٣٢٣

مكتبة دار التقوى للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
☎ : ٠٥٥ / ٨٤٠٧٩٩

الناشــر

دار الثقافة
الدوحة - قطر
ص . ب : ٣٢٣

قل هو الله أحد

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦م

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

* * *

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنه الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

* * *

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقاً .

* * *

٤ الدعوة الى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره - فى أى شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه فى حقوقه.

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع

طبعت بمطابع دار الحرمين - القاهرة - ت/ف : ٢٩٧٩٧٣٥